الفصل الأول

سلطة الإعلام

الفصل الأول

سلطة الإعلام

التفكير في سلطة الإعلام

المصدر: Getty Images

روبرت مردوخ، مؤسس ورئيس مجلس إدارة والمدير التنفيذي لشركة "نيوز إنترناشيونال"

"سيلفيو بيرلسكوني: أكثر الرجال نفوذًا في إيطاليا؟"

"ثورة تويتر عبر الشرق الأوسط"

"أفلام الكرتون الدنماركية الساخرة من الرسول محمد عليه الصلاة والسلام تثير أعمال شغب: سقوط خمسة قتلى"

"التأثير غير العادل لفيلم "سايكو" لمايكل مور في عام الانتخابات"

"رجل دين: موسيقى الروك آند رول ستهبط بالرجل الأبيض إلى مستوى الزنجي".

إن العناوين الرئيسية المقدمة أعلاه مستقاة من مجموعة متنوعة من السياقات وتشير إلى مجموعة من صور الإعلام ولكن جميعها توضح افتراضات بشأن علاقة السلطة

بالإعلام. على مدار المائة عام الماضية، كان يعاب على صور الإعلام والمؤسسات الإعلامية وملاك المؤسسات الإعلامية بشكل متكرر انتهاجهم معايير ثقافية واجتماعية متدنية وتقويضهم الفردية ونشرهم السلبية، فضلاً عن الذعر والأكاذيب. في المعتاد، تتم الإشارة إلى نصوص إعلامية معينة وأصحاب مؤسسات إعلامية بعينهم وسمات معينة من قبل منافذ الإعلام نفسها لأجل الأثر والنتيجة الحاسمة المفترضة التي قد تمتعت بها. على سبيل المثال، في المملكة المتحدة، زعمت صحيفة "ذا صن" أنها قد فازت بالانتخابات العامة لعام 1992 لصالح حزب المحافظين الذي كان ينتمي إليه جون ميجور، ساخرة من نيل كينوك، زعيم المعارضة يوم الانتخابات. وفيما عادةً ما تشكو الصحيفة من تنازل الحكومة البريطانية عن سلطة حق تقرير المصير خاصتها للاتحاد الأوروبي، إلا أنها نادرًا ما تركز على سلطة مالكها، روبرت مردوخ. يعد مردوخ، أسترالي المولد وأمريكي الجنسية، مالك أكبر حصة من الإعلام في المملكة المتحدة. ويزعم أن الصحف والشركات التلفزيونية خاصته تتجه لإبراز تلك القيم الاجتماعية والسياسات التي تدعم برنامج عمله. في واقع الأمر، صحيفة "ذا صن" هي التي تفوز في الانتخابات، ومن ثم، يمكنها الفوز بها لصالحه، ولصالح نوع الأفكار السياسية التي قد عززت ظهور إمبراطوريته التجارية. في وقت تأليف هذا الكتاب، كان عمله التجاري هذا تحت المراقبة نتيجة اتهامات "التنصت على المكالمات الهاتفية" التي وجهت من قبل مراسلين بصحيفة "نيوز أوف ذي وورلد" البريطانية. للمرة الأولى خلال جيل، كان الساسة البريطانيون من جميع الأطراف صريحين في التشكيك في دور إعلام مردوخ في الحياة البريطانية وثمة تهديد حقيقي لقواعد ملكية الإعلام التي قد ضمنت انتشاره في بريطانيا، إن لم يكن دوليًا.

تسلط تلك الأمثلة الضوء على أحد أهم الأسباب وراء دراسة موحدة للإعلام والسلطة. في المجتمع المعاصر، بات التلفزيون والإذاعة والصحافة، والآن الإنترنت، القنوات الرئيسية للأخبار ونوع المعلومات اللازم لنا لنعمل كمواطنين نشطين، وككائنات اجتماعية وثقافية. وبغض النظر عن تحديات المنصات الرقمية الجديدة ونقاط الوصول، فإن هذا يلقي بقدر هائل من المسئولية في أيدي عدد محدود نسبيًا من الناس والمؤسسات. بالرمز نفسه، تشير حقيقة أنه بإمكاننا الدفع بهذا الزعم حول أهمية الإعلام،

ومركزية وسائل الاتصال الجماهيري بالنسبة للمجتمع وحياتنا، إلى مدى تنامي حضور الصور المتنوعة، إن لم يكن "تأثيرها" علينا، بشكل يتعذر تغييره في العقود الأخيرة.

ماذا سنفعل في هذا الفصل؟

يمثل مثالنا الافتتاحي نقطة بداية مفيدة في محاولة فهم المناقشات المتعلقة بالدور الاجتماعي للإعلام. وتعد مهمتنا الأولى هي إدراك سبب أهمية فكرة السلطة والتعامل مع ما تعنيه السلطة والمواضع التي تكمن فيها في المجتمع وفي علاقتها بالإعلام. وبهذه الاستبصارات، يمكننا حينئذٍ استكشاف فكرة مثمرة ومثيرة لتفسير دور الإعلام في علاقته بالسلطة في صورة أيديولوجية. ولقد كانت هذه بمثابة وسيلة رئيسية فكر من خلالها واضعو النظريات الإعلامية والثقافية في العلاقة بين السلطة والإعلام. هناك عدد من نظريات الأيديولوجية، ونحن نفحص ثلاث نظريات رئيسية من فترة المائة وخمسين عامًا الماضية – مقدمين مناقشة حول سبب أهميتها – قبل النظر إلى المفاهيم الأحدث عن الأفكار والسلطة. يختتم هذا الفصل بتقديم انعكاس لماهية السلطة ومن يمارسها.

مع نهاية هذا الفصل، ينبغي أن تكون قادرًا على:

- تحديد الأفكار الجوهرية والمصطلحات الرئيسية المحيطة بعلاقة السلطة والإعلام والتفاعل معها
- تحديد مصادر السلطة في المجتمع المعاصر وتقييم دور الإعلام بالنسبة لكل منها
- البحث في جوانب سلطة الإعلام في المجتمع واستقاء استنتاجات مرتبطة بالقضايا والمناقشات الجوهرية

المصطلحات الأساسية: ◀ وكالة؛ مجتمع مدني؛ طبقة؛ تحكم؛ حتمية؛ خطاب، مجموعات مسيطرة ومجموعات تابعة؛ حكومة ودولة؛ هيمنة؛ تسلسلات هرمية؛ مثالية؛ أيديولوجية؛ استجواب؛ ليبرالية؛ ماركسية؛ مادية؛ سلطة الإعلام؛ سلطة شعبية؛ سلطة؛ مقاومة؛ أجهزة الدولة القمعية وأجهزة الدولة الأيديولوجية؛ حق تقرير المصير؛ بنيوية.

إجراء الدراسات الإعلامية

نقطة البداية

بهدف مساعدتك في المرور بالأفكار الواردة في هذا الفصل، من المفيد التفكير في كيفية الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ماذا تعني لك فكرة السلطة؟
- أين تكمن السلطة في المجتمع: من يملك السلطة ومن لا يملكها؟
- بأية صورة تعتقد أن قضية السلطة مرتبطة بالإعلام من حيث المعاني النصية والأعمال التجارية والجماهير ووضعهم كمستهلكين؟

لقد كنا نعرض مجموعة من الأفكار والمناقشات والاتجاهات ذات الصلة بتساؤلات السلطة في الأجزاء الثلاثة السابقة من هذا الكتاب. كيف يمكن أن تدعم هذه العناصر إجاباتك عن الأسئلة المطروحة آنفًا؟

صياغة مفهوم للسلطة

السلطة
خطط عمل حكومية تضع أهدافًا مطلوب تحقيقها عن طريق توجيه أو التأثير في قرارات تتخذها شركات إعلامية أو عملاء في مجال الإعلام.

منذ ظهورها، ساور كثير من الناس القلق إزاء سلطة وسائل الإعلام على الأفراد والمجتمع بشكل عام. وغالبًا ما تثار تساؤلات حول التأثير المباشر للإعلان أو الموسيقى أو التلفزيون. وفي أحيان أخرى، كان الناس معنيين بالسلطة التي يكتسبها الأفراد ويسيطرون بها على رسائل الإعلام حينما يملكون مؤسسات إعلامية ضخمة ويتحكمون فيها. بالمثل، تساءل آخرون عن ماهية الدور الذي يلعبه الإعلام في الإبقاء على الوضع الراهن في المجتمع أو، في واقع الأمر، في إحداث تغيير فعلي. ما نحتاج للسؤال عنه هو ما المقصود بالسلطة وكيف يمكننا فهم هذه المنظورات المختلفة لسلطة الإعلام. بوسعنا البدء بتعريف صالح للاستخدام بهدف توجيه تحقيقنا:

يشير تعريفنا إلى أن ثمة جانبين مرتبطين بالسلطة. يُنظَر في العموم إلى سلطة التحكم – القدرة على تقرير أفعال الآخرين – من منظور سلبي نظرًا لأنها تشير إلى أن ممارستها

ربما تقيد حرية هؤلاء الآخرين. ترتبط سلطة تقرير المصير بفكرة التحرر من ممارسة السلطة، أو من الالتزامات تجاه هؤلاء المتولين مقاليد السلطة. تشتق نظريات "الليبرالية" (Liberalism) و"التحرر" (Liberation) و"الليبرتارية" (Libertarianism) تشتق أسماءها من الأصل اللاتيني liber، والذي يعني حر، وتتعلق بمدى عدم تقيد الأفراد بسلطة الأفراد الآخرين والدول والحكومات الأخرى وما إلى ذلك.

بالمثل، بإمكان مجموعة اجتماعية واحدة التحكم في أفعال مجموعات أخرى، وتستطيع المجموعة المقموعة، مثلما يطلق عليها، البحث عن حق تقرير مصير جمعي. وعلى الرغم من ذلك، فإن سلطة حق تقرير المصير يمكن أن تترجم بسهولة في صورة تحكم في مجموعات أخرى. من ثم، فإن ما ينظر إليه شخص واحد أو مجموعة واحدة بوصفه تحررًا قد يراه آخرون قمعًا. إن القدرة على ممارسة السلطة على الآخرين تأتي بمنافع للأفراد والمجموعات المسيطرة في صورة ثروة اقتصادية أكبر، على سبيل المثال، بالإضافة إلى المتعة الأنانية الممثلة في أن تكون قادرًا على "امتلاك طريقتك الخاصة". بالطبع ثمة مزاعم مفادها أن السلطة يمكن أن تستخدم بصور أكثر إيثارية، لأجل المنفعة الأعظم، حيث تسعى المجموعات والأفراد لتحقيق التوازن في الدرجة التي يتم من خلالها التحكم في حريتها. وفي متابعتنا، يمكننا التفكير في الطريقتين الرئيسيتين اللتين تمارس بهما السلطة: عبر القوة وعبر الأفكار.

1- **القوة المادية**. عادة ما يستخدم الأفراد والمجموعات العنف لحمل الآخرين على القيام بما يريدون، وغالبًا ما يكون تهديد العنف كافيًا لجعل الناس يمتثلون لتوجيهات الآخرين. وفي حالة سعي مجموعة مسيطرة للاحتفاظ بالتحكم والسيطرة من دون قوة مادية – تحتاج لجهد وموارد – تحتاج تلك المجموعة إلى تقسيم أية معارضة محتملة بهدف إضعافها وضمان القبول واسع النطاق لسلطة المجموعة. ولأجل الإبقاء على السلطة، فقد اكتسب الأفراد والمجموعات على نحو تقليدي دعمًا لأجل هيمنتهم وسيطرتهم من خلال "رشو" بعض المجموعات من المتحدين المحتملين بحصة من سلطتهم وثروتهم.

2- **قوة الأفكار**. ستتمثل أنجح صور الدعم في موقف تقبل فيه أية مجموعة تابعة إخضاعها، معتقدة أنه أمر طبيعي. تاريخيًا، خضعت المجتمعات لحكم الملوك على أساس أنه كان يعتقد أن هؤلاء الحكام قد تم تعيينهم إلهيًا، وأن سلطتهم تمثل جانبًا ثابتًا من بنية العالم. وكانت الثورة ضد ذلك الوضع بمثابة ثورة ضد الطبيعة والإله.

إن العلاقة الديناميكية بين استخدام القوة المادية وقوة الأفكار تتكرر على مدار هذا الفصل. قد نشير إلى أنه كلما باتت ممارسة السلطة أكثر قمعًا ووضوحًا بشكل علني، زاد احتمال أن تتم معارضتها، وكلما كانت أقل قمعًا ووضوحًا، زاد احتمال أن يحاول الناس تهيئة أنفسهم في إطارها. إن العمليات والممارسات الاجتماعية التي ندرسها تحت عنوان السياسات هي تلك المتعلقة بضمان قبول سلطة مجموعة على أخرى – الديمقراطيون مقابل الجمهوريين في الولايات المتحدة الأمريكية، على سبيل المثال، أو الديمقراطيون المسيحيون في مقابل الديمقراطيين الاجتماعيين في ألمانيا. بالطبع، لا يكتفي الأشخاص الذين تتم ممارسة السلطة عليهم بمجرد قبولها. بل إن بعضهم سوف يتصدى لها، وسيحاول آخرون تقويضها أو الاستهزاء بها، فيما سيسعى آخرون إلى تهيئة أنفسهم وما يريدونه في إطار حدود هذا التحكم.

ينبغي أن نضيف أن السلطة ليست مجرد مسألة سياسات معلنة لحزب وإنما هي شيء مرتبط بالحياة اليومية وبالعلاقات الشخصية وبمكان العمل ويحدث في المنزل وفي التعليم وبالطبع في عمليات المؤسسات الإعلامية ومعاني المنتجات الإعلامية وعلاقتنا بها كمستهلكين وقراء. ومع ذلك، فمن خلال التحرك صوب الأسئلة المتعلقة بسلطة الإعلام، لنبحث في من هم على وجه التحديد أصحاب السلطة في المجتمع وكيف يتم تنظيم السلطة.

تحديد موضع السلطة

لقد فكر الأكاديميون على نحو تقليدي في توزيع السلطة بوصفه تدرجًا. بمعنى أنه توجد مجموعة صغيرة من الأشخاص أصحاب السلطة في قمة الهرم الاجتماعي ومجموعة كبيرة من الأفراد التابعين أدناها، في تدرجات تتجه نحو القاع. ومع ذلك، ففي متابعتنا،

يجب أن نخاطب السؤال المتمثل في من هم أصحاب السلطة في هذا التسلسل الهرمي. من هم "التابعين"، "المقموعين"؟ للإجابة عن هذا السؤال، نظر الباحثون إلى أفكار الطبقة الاجتماعية، وإلى المجموعات الاجتماعية الأخرى، وإلى دور الحكومة في سلطة الدولة، وإلى سلطة المقاومة وإلى هؤلاء من أصحاب الآراء البديلة لرؤية الدولة. وبعيدًا عن الاهتمام بالدولة والمؤسسة الاجتماعية، ثمة فروق في النوع الاجتماعي والعرق والجنسانية يجب توضيحها.

دعونا ننظر إلى ما يعني تدرج السلطة هذا عبر الصورة التي تم بها صياغة الطبقة في إطار مفهوم.

الطبقة
هي طريقة لتصنيف المجموعات الاجتماعية حسب تدرجات الثروة والوظيفة والذوق والثقافة.

الطبقة هي مجموعة من شيء ما، من ثم فإن التصنيف الاجتماعي هو عملية تعريف أشخاص مختلفين باعتبارهم ينتمون إلى مجموعات مختلفة تحمل درجات متفاوتة من السلطة الاجتماعية، عادة ما تقاس من حيث المكانة الاقتصادية. لقد كافح فلاسفة سياسيون مع تساؤلات تتعلق بطبيعة صور وغرض تفاوت السلطة بين الطبقات المختلفة وتبعات تلك الفروق في السلطة، التي تعد غير متناسبة مع الأرقام.

إن هؤلاء القابعين أدنى التسلسل الهرمي دائمًا ما يفوق عددهم الأثرياء وذوي السلطة، وهو موقف غالبًا ما أدى إلى حالة من عدم الرضا، بالرغم من ممارسة القوة البدنية وتطبيق الأفكار في الحفاظ على عدم التوازن هذا. ثمة أمثلة تاريخية عديدة لمحاولات من قبل أشخاص عاديين للقضاء على القمع، اعتقادًا بأن الأمور ستصبح أفضل من دون اللوردات الذين سيطروا عليهم واستولوا على الثروة التي أنتجوها. في أوروبا، أضحت هذه الصراعات أساسًا لنظريات مثل الديمقراطية والاشتراكية، التي احتجت بأنه يمكن قيام نوع من المجتمعات يكون لكل فرد حصة فيه، حتى وإن تباينت درجة الاستثمار والمساواة المقترحة في تلك النظريات.

تشكلت النظريات الاقتصادية والاجتماعية للطبقة خلال القرن التاسع عشر، في

وقت أفسحت فيه الصور القديمة من النظام الاجتماعي الطريق لأساليب أحدث مثل الديمقراطية.

عند قمة السلم توجد "الطبقة العليا"، حيث تم توارث كل من المكانة والثروة – الأرستقراطيون والملوك وغيرهم ممن قد تولوا مقاليد الحكم حتى الآن. وتشير تسمية "الطبقة المتوسطة" إلى هؤلاء الأفراد من رواد الأعمال والرأسماليين والمهنيين (الطبقة البرجوازية من منظور ماركسي)، الذين يحددهم جيل ثروتهم وملكيتهم العقارية وطبيعتهم "المثقفة". ستلاحظ أن الطبيعة التسلسلية لهذه المصطلحات تعني أن الأخير – الطبقة العاملة – قابل للتبادل فعليًا مع "الطبقة الدنيا". من ثم، فإن الطبقة العاملة (أو البروليتاريا من المنظور الماركسي) تشير على نحو تقليدي إلى الأغلبية التي تميزها قوتها العاملة – الرجال والنساء والأطفال الذين كانوا مطلوبين لعملية الصناعة (جويس، 1995؛ كانادين، 2000).

ومع ظهور مجتمعات المستهلكين الحديثة، وانحدار الصناعة في الغرب على وجه الخصوص، وصعود اقتصاد خدمات، يبدو أن معنى الطبقة قد تغير، وبدرجة ما، أدى إلى تراجع برنامج الأعمال العام والأكاديمي. وعلى الرغم من ذلك، فإن التحليلات المعاصرة لم تنحي مفهوم الطبقة جانبًا. إن المحاولات المعاصرة لإعادة تأسيس نظريات الطبقة قد ركزت على فكرة مجتمع 30/30/40 (هيوتون وبيل، 2003). في بريطانيا، على سبيل المثال، تتمتع نسبة 40 بالمائة بوظائف مضمونة وذات أجور جيدة ومنازل خاصة وتجني ثمار ثراء الدولة. أما نسبة الـ 30 بالمائة التالية، فهي أقل أمانًا وتعمل بوظائف قصيرة الأجل وغالبًا ما تكون بنظام الدوام الجزئي وتعتمد على نوع من المنفعة الاجتماعية للحصول على الأموال الكافية لتلبية احتياجاتك الأساسية. وعادة ما يطلق على نسبة الـ 30 بالمائة الأخيرة اسم "الطبقة الدنيا"، التي تنزلق من وإلى السجل الاجتماعي والتي ربما تكون محرومة من الحقوق ومعدمة بدرجة كبيرة نتيجة لذلك.

مثلما علق المؤلف ويل هيوتون على أطروحته:

تم فرض عقوبة على ذلك الترتيب من قبل طبقة سياسية وتجارية ومالية محافظة غير أخلاقية وظفت قوة الدولة البريطانية الملكية وأيقونات المكانة النبيلة المصاحبة لتمييز الأسواق وتشويه سمعة مفهوم مشترك للحقل العام. غير أن الاستنتاج المزعج الذي استقاه الكتاب (لكل من اليسار القديم واليمين الجديد) لم يكن اليأس من الرأسمالية، وإنما إدراك وفرة نتاجها وقوتها، واقتراح إصلاحها حول ما يطلق عليه مبادئ "المساهمين أو أصحاب المصلحة". وشمل هذا تضمين قيم الاشتمال والالتزام والنزاهة في قاعدة الرأسمالية، التي يمكن تدعيمها بدرجة أكبر من خلال الإصلاح التشريعي لإعطاء بريطانيا ديمقراطية أقل ملكية وفرصة أفضل للتعبير عن الصالح العام.

www.guardian.co.uk/politics/2005/jan/09/politicalcolumnists.comment

وفي وقتنا هذا، تبدو سياسات الطبقة في المجتمعات الغربية الحديثة أقل ارتباطًا بالعمال والملاك مما كانت خلال الفترة الصناعية الكبرى، وبدرجة أكبر بمستويات الملكية والعرض، وأيضًا بالفروق الثقافية. لقد برزت الفئة الأخيرة بالتأكيد في الوقت الذي بدأت فيه المناقشات حول الطبقة تتراجع. من ثم، باتت نظريات سلطة مهمة أخرى ذات صلة بشكل متزايد. على سبيل المثال، أشار المناصرون لحقوق المرأة إلى حقيقة أن السلطة لم تكن موزعة فقط بين الطبقات المختلفة، وإنما أيضًا بين النساء والرجال، وبين الأفراد من أصل عرقي مختلف. وبالتبعية، أثرت الحركات الكامنة وراء هذه الأفكار على آخرين، وعلى وجه الخصوص الشواذ والسحاقيات، للبدء في المطالبة بالمساواة في المعاملة وبقبول أوسع نطاقًا في المجتمع.

ينبغي أن نقول كلمة الآن فيما يتعلق بهياكل القوة الأكثر رسمية في المجتمع. على سبيل المثال، من السهل عند التفكير في الأفراد أصحاب السلطة في المجتمع التفكير بشأن الأفراد في الحكومة – إنهم يظهرون بشكل معتاد في التقارير الإعلامية. بشكل واضح، تتمتع حكومة إحدى الدولة بدرجة من السلطة توظفها في وضع القوانين – التي يؤثر

كثير منها على طبيعة الإعلام والملكية وسير العمليات. وعلى الرغم من ذلك، فإن سلطة حكومة معينة تعتمد على الدولة، وعلى مجموعات أخرى ذات سلطة في المجتمع. إن الدولة هي مجموعة الهيئات التي تتمتع بسلطة في إطار كل مجالات إحدى الدولة. ثمة هيئات رئيسية معنية بالعمليات وبتنظيم أية دولة، مثل النظام القانوني والخدمة المدنية والشرطة والجيش. وتمتلك غالبية الدول الحديثة هيئات ثانوية توفر خدمات للمجتمع تغطيها الدولة، مثل التعليم والتأمين الاجتماعي وتوفير الرعاية الصحية. وتتمتع كل هذه الهيئات بمواقع قانونية معينة داخل المجتمع. توجد هذه الهيئات قبل أن تتولى حكومة معينة مقاليد السلطة، ونظريًا على الأقل، تخضع الحكومة لحكم القانون مثلما نخضع نحن له كمواطنين. وعلاوة على ذلك، تحتاج الحكومة إلى هيئات الدولة لتشريع القوانين والسياسات التي قد مررتها وتنفيذها. وعلى الرغم من ذلك، فإنه بوسع حكومة فردية تغيير هيئاتها وطبيعتها. تعد غالبية الدول الغربية الحديثة "ديمقراطيات تمثيلية"، حيث نصوت لأجل ممثل في جهاز منتخب وأيضًا، بشكل مباشر أو غير مباشر، زعيم للحكومة. يمكننا أن نقارن هذا بفكرة "الديمقراطية الشعبية"، حيث قد يتحكم الناس بشكل مباشر في تلك العوامل التي تؤثر على حياتهم، إما بالتحكم في أفعال الدولة، أو بالاستعاضة عنها بهيكل على نطاق أصغر. ونظرًا لأن غالبية المجتمعات الغربية كانت تملك ديمقراطيات تمثيلية مستقرة نسبيًا، فإنه عادة ما يكون من الصعب فهم أن الحكومات المنتخبة تكتسب سلطتها من دعم الطبقات الاجتماعية المهيمنة ومصالحها. تاريخيًا، لم يأت التحول إلى الديمقراطية التمثيلية في أوروبا من مثالية الديمقراطية، وإنما من الرغبة المتنامية بين الرجال من الطبقة الرأسمالية في أن تتوافق السلطة السياسية مع السلطة الاقتصادية. كانت القواعد الأولى التي حكمت من يمكنه التصويت تهدف إلى منح أصحاب العقارات حق التصويت، بدلاً من البحث عن أصوات لجميع البالغين. يمكننا أن نرى أن الحكومات التي لا تعمل من أجل منفعة الطبقة الاجتماعية المسيطرة عادة ما يكون عمرها قصيرًا. في السنوات الأخيرة، تعرضت الحكومات التي قد أرادت تغيير المجتمع في أسبانيا وشيلي ونيكاراجوا وجرينادا ونيجيريا وهاييتي وفنزويلا جميعها إلى تهديد من قبل انقلابات الجيش أو تمت الإطاحة بها فعليًا من قبلها، وقوضها التهييج المعارض للحكومة، في الأغلب من

قوى أجنبية. بالمثل، تمت الإشارة إلى شركات عالمية متعددة الجنسيات، التي عادة ما تملك أصولاً أضخم من بعض الدول، في بعض المواضع للأسلوب الذي قد تقوض به تكامل دول معاصرة (مونبيوت وآخرون، 2003). وللعودة إلى مثال خاص بالإعلام، بإمكاننا النظر إلى التأثير المحتمل لروبرت مردوخ المذكور في موضع سابق على الإعلام في عدة دول، دعمًا لمصالح "نيوز كوربوريشن" ومساهميها. مثلما قد يشير مقال في صحيفة "ذي إكونوميست"، فإن أية إشارة للتأثير يخففها أيضًا صعود وهبوط حظوظ العمل:

"ورث مردوخ تجارة صحفية وحولها بشجاعة إلى إمبراطورية تضم وسائل إعلام متعددة. بوصوله إلى بريطانيا في ستينيات القرن العشرين، ابتكر الصحيفة الشعبية الحديثة – عبارة عن مزيج من الإثارة الجنسية والإساءة الأخلاقية والعنف السياسي. في أمريكا، أنهى إحكام قبضته على شبكات البث التلفزيوني الرئيسية الثلاث. وقد أثارت محطة "فوكس نيوز" خاصته حفيظة الليبراليين – وحصدت أرباحًا.

تستمر الانقلابات، غير أن الحكم يبدو معيبًا على نحو متزايد. استحوذ مردوخ على "ماي سبيس" في صفقة جريئة على نحو نموذجي، غير أنه وقف موقف المتفرج المغلوب على أمره بينما يتم اكتساحه من قبل "فيس بوك". وفي عام 2007، استغل ببراعة نقاط الضعف في عائلة بانكروفت للاستحواذ على "داو جونز" و"وول ستريت جورنال"، لكنه عجز بشكل واضح عن إدراك أن عمل الصحيفة كان ينهار. ولاحقًا انخفضت قيمة "داو جونز" بمقدار النصف.

(الآن، آخر أباطرة المال روبرت مردوخ هو آخر عضو من سلالة في طريقها للاندثار. حان الوقت كي يتنحى. "ذي إكونوميست"؛ 21 يوليو 2011

© The Economist Newspaper Limited, London (2011).

في وقت تأليف الكتاب، كانت وقائع الكشف عن حوادث التنصت على الهواتف من قبل الصحفيين بصحيفة "نيوز إنترناشيونال" في المملكة المتحدة بمثابة عامل تحفيز لتقييد المصالح الإعلامية لمردوخ ونطاق سلطته.

الإعلام والسلطة

ينظر السواد الأعظم من الناس الذين يرغبون في العمل في مجال الإعلام إلى ذلك

العمل بوصفه فرصة لتقرير المصير والإنجاز الفردي. وهم ينجذبون إلى المهن الإعلامية باعتبارها تمنح فرصة لأجل التعبير عن الذات وتحقيق الذات، بل، وربما، الإثابة الشخصية في صورة ثروة وشهرة. كذلك ينطوي العمل الإعلامي على إمكانية الاستحواذ على سلطة اجتماعية – عبر تلك الثروة والشهرة وأيضًا، في واقع الأمر، في عملية الوصول إلى الجماهير من خلال الأفكار والرسائل. لذلك، بالنسبة لنا، تثار تساؤلات تتعلق بكيفية منح صور الإعلام والمؤسسات الإعلامية السلطة للأفراد والمجموعات، وقدرتها على ممارسة السلطة وفرض السيطرة والتحكم على مستوى اجتماعي. ومع ذلك، فليس ثمة إجماع واضح بين الباحثين على الموضوع الذي تكمن فيه السلطة في ما يتعلق بصور الإعلام والمؤسسات والأفراد. من ثم، لا توجد مجموعة بسيطة من الحقائق ليتم تعلمها هنا، وإنما مجموعة من التساؤلات المهمة المطلوب البحث فيها، وعدد من النظريات التي تحتاج للفحص والمناقشة. ولمساعدتك في القيام بهذا، من المفيد ربط نظريات أو أساليب معينة بثلاث وسائل للنظر إلى الإعلام والسلطة. هذه، أولاً، أفكار للإعلام صاحب السلطة، ثانيًا، فكرة أن الإعلام يجعل الناس متمتعين بالسلطة، وثالثًا فكرة أن وسائل الإعلام تعمل كأدوات لأصحاب السلطة.

وسائل الإعلام ذات السلطة

عادة ما يصوَر مصدر "سلطة" الإعلام بوصفه أساسيًا لعمليات التواصل – شيء ما في التكنولوجيا أو في تفرد النصوص والتقنيات الإعلامية. وينظر إلى تلك السلطة بوصفها تعمل على مستوى انفعالي ونفسي وفسيولوجي، على نحو يؤثر في السلوك بصورة ما. ويعتقد أن تأثيرها يكون في أقوى مستوياته على الأفراد سريعي التأثير، وينظر إلى ردود أفعالهم باعتبارها تحمل مدلولات مهمة لبقية المجتمع.

وقد تشمل أمثلة جيدة على هذا الأسلوب المخاوف من أن تكون مشاهدة التلفزيون على سبيل المثال ضارة لك، أو أن تؤدي مشاهدة أمثلة للعنف على شاشة التلفزيون إلى حوادث عنف حقيقية، أو احتمال أن تؤثر كلمات أغنيات البوب بصورة غير ملائمة على الشباب. عادة ما يرتبط هذا الموقف بالحجج التي مفادها أنه ينبغي التحكم في محتوى الإعلام. يمكننا تحديد وقائع تجسد بعضًا من الوسائل التي قد تم في إطارها صياغة مفهوم لسلطة الإعلام بهذا الأسلوب (انظر دراسة الحالة التالية).

الإعلام يجعل الناس أصحاب سلطة

هنا، غالبًا ما يتم تحديد مصدر السلطة باعتبارها يشتق من قدرة هؤلاء الذين يسيطرون على المؤسسات الإعلامية. مجددًا، افتراض أن وسائل الإعلام ذات سلطة، لكن هنا يتعلق موطن الخوف بهؤلاء الذين يمارسون التحكم في تلك السلطة. يخشى من أن يمنح العاملون في مجال الإعلام، أو أصحاب المؤسسات الإعلامية، تأثير سياسي واجتماعي غير ملائم نتيجة لوضعهم. وقد تندرج المخاوف المتعلقة بالتحيز التحريري في الصحافة أو في التقارير الإخبارية التلفزيونية ضمن هذه الفئة، وعادة ما تظهر في مناقشة "المجال العام" وأساليب بحث الاقتصاد السياسي في الدراسات الإعلامية.

وسائل الإعلام كأدوات سلطة

يبدأ هذا النموذج بقبول أن التقنيات الإعلامية ذات سلطة بالدرجة نفسها التي تصل بها إلى الكثير من الناس، وأن التقنيات والوسائل التي يتم من خلالها نقل الرسائل ذات أهمية نظرًا لأنها قد أصبحت جوانب معتادة، وربما لا غنى عنها، في حياتنا. ويرتكز هذا النموذج أيضًا على فكرة أن سلطة الأفراد مهمة، غير أن سلطة الإعلام أكثر ضررًا من أوامر أي فرد واحد أو مجموعة صغيرة من المساهمين، على سبيل المثال. ما يهم في هذا النموذج هو مفهوم أوسع نطاقًا للسلطة الاجتماعية – سياق الأفكار والعلاقات، التي ينبغي أن تفهم في إطاره عمليات الإعلام. هنا، تكون صور الإعلام وتقنياته والعاملين به ومؤسساته موثقة بالفعل في ممارسة سلطة المجموعات المهيمنة في المجتمع. وهنا لا تنشأ السلطة مع الإعلام، بل تعمل وسائل الإعلام كـ "أدوات"، كجزء من عملية اجتماعية أوسع نطاقًا، تجعل فيها المجموعات ذات السلطة في المجتمع مصالحها هي المسيطرة في المجتمع، والتي تخضع لها كل المجموعات الأخرى، وحتى وإن كانت تلك المصالح ضد مصالحها. وتكمن تفسيرات هذه العملية في نظريات الأيديولوجية وعملياتها، التي سنتحول إليها الآن، وسنستكشفها بمزيد من التفصيل.

دراسة حالة

المدونات ووسائل الإعلام العالمية

في يوم 20 أبريل 1999، دخل الطالبان المراهقان إريك هاريس وديلان كليبولد، في نوبة اهتياج أدت لارتكابهما مذبحة في مدرسة كولومبين العليا في ولاية كولورادو بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد راح ضحية المذبحة 12 طالبًا من زملائهما ليقوم الطالبان بعدها بالانتحار. وفي البحث اللاحق عن تفسيرات لتلك الجريمة، تم التركيز على مجموعة عوامل تعد وثيقة الصلة بالمناقشات والافتراضات المتعلقة بوسائل الإعلام ذات السلطة.

كان الاثنان غريبين منتميين إلى مجموعة مهمشة في المدرسة كان أفرادها يرتدون زيًا موحدًا ممثلاً في معطف واق من المطر، يحاكي صورة أبطال الفيلم الناجح في ذلك الوقت "المصفوفة" (The Matrix) (للمخرج واتشوسكي، 1999). وكانا يستمتعان أيضًا بألعاب الفيديو المدمرة. مثلت تلك الأشياء جذبت الانتباه، لكن إحدى سمات حياتهم التي أشير إليها باعتبارها العامل المسبب في أفعالهم (وإن كان دون أي دليل) كانت هي حقيقة أن القاتلين كانا من المعجبين بمارليلن مانسون.

يعد مانسون مغني Shock Rock "روك صادم" أمريكي تغازل صوره وموسيقاه أفكارًا مثل التمرد الاجتماعي وعبادة الشيطان والشذوذ الجنسي والذي قد أثار (عن عمد) حفيظة الجماعات الدينية المتطرفة في الولايات المتحدة الأمريكية. وكان يُزعَم أن موسيقى مانسون، بجوها المحمل بروح الدمار ورسالتها العدمية، دفعت الشباب بشكل مباشر لارتكاب جريمة القتل.

أخرج مايكل مور فيلم "بولينج لأجل كولومبين" (Bowling for Columbine)، وهو فيلم وثائقي حائز على جوائز يدور حول حوادث إطلاق النار هذه، في عام 2002. وفيه، يجري المخرج مقابلة مع مانسون حول التأثير الظاهر لموسيقاه على هؤلاء المعجبين. وفي هذا الجزء المقتبس، يشير مانسون إلى أن هذا الذعر الأخلاقي من جانب وسائل الإعلام إزاء مغزى وتأثير أغنياته تجاهل الضغوط الاجتماعي الأوسع وحول النقاش والانتباه بعيدًا عن الآراء المتعلقة بامتلاك السلاح على نطاق واسع في الولايات المتحدة الأمريكية وحرب الخليج، وفي حقيقة الأمر، الفضائح الجنسية في المناصب الرفيعة. مثلما يقول مانسون في الفيلم:

"كانت النتيجتان الثانويان لتلك المأساة الكاملة هما العنف في الترفيه والسيطرة على السلاح. وكم كان هذا مثاليًا: الموضوعان اللذان كان سيتم تناولهما في الانتخابات القادمة. كذلك، حينها نسينا موضوع مونيكا لوينسكي، ونسينا أيضًا أن الرئيس كان يطلق المتفجرات بالخارج، لكنني شخص سيئ لأنني أغني بعض أغاني الروك آند رول، ومن له التأثير الأكبر الرئيس أم ماريلين مانسون؟ يروق لي الاعتقاد بأنه أنا، لكنني سأوافق الرئيس.

الأيديولوجية

أيديولوجية
أفكار موضحة أو مخفية بوصفها "حقائق"

ابحث عن معنى كلمة "أيديولوجية" في مجموعة من كتب الدراسات الإعلامية وستلاحظ أنها كانت بمثابة مفهوم محوري ومعقد في التفكير بشأن الإعلام والسلطة والمجتمع. كنقطة بداية، سنستخدم التعريف المبين في العمود الأيسر.

من الواضح، من هذا التعريف، أن الأيديولوجية مرتبطة بالأفكار، لكن من الصعب في البداية إدراك كيف يمكن أن تكون الأفكار "مخفية"، أو كيف يمكن أن يتم عرضها في صورة "حقائق". وعلى الرغم من ذلك، فإننا غالبًا ما نميز بين الآراء والحقيقة، وبإمكان أي شخص تبني رأي حيال أمر ما دون أن ينتج بالضرورة دليلاً مدعمًا له: لا يتعين أن يكون صحيحًا على نحو موضوعي. على الجانب الآخر، فإن الحقيقة هي ذلك الشيء الذي لا يقبل الجدل والممكن إثباته – أو هكذا نفترض. بينما ينظر للحقيقة على أنها موضوعية، عادة ما يُنظَر للآراء على أنها ذاتية أو شخصية – تنقل أفكارًا ومنظورات وتفسيرات للعالم، وفي الواقع، للحقيقة ذاتها. ومع ذلك، فإن تعريفنا يشير إلى أن ما نظنه حقيقة ربما يكون مثار جدل ومحل نزاع لدى فحصه عن قرب.

هذا هو جوهر مفهوم الأيديولوجية: إنها مجموعة من الأفكار المشتركة التي تبدو، بالنسبة لهؤلاء الذين يتبنونها، طبيعية وحتمية؛ يبدو أنها تظهر طوعيًا كمكونات أساسية

دراسة حالة

سيلفيو برلسكوني في السلطة

تعد شخصيات مثل سيلفيو برلسكوني نقطة محورية مفيدة لدراسة الأسلوب الذي يعتقد من خلاله أن ملكية الإعلام تجعل الناس يتمتعون بالسلطة، فضلاً عن المناقشات المحيطة بهذا الموضوع، وتبعاته وبعض من أوجه غموضه.

بدأ برلسكوني حياته المهنية في مجال العقارات الإيطالية وانتقل إلى امتلاك وسائل الإعلام في عام 1980، حينما أطلق "كانال 5" Canale 5، أولى الشبكات التلفزيونية التجارية الوطنية في إيطاليا. ومضى في الاستحواذ على حصص في وسائل إعلام في دول أوروبية أخرى، لينتقل إلى نشر الكتب والمجلات والصحف. وبدأت حياته المهنية السياسية حينما أسس حركة "فورزا إيطاليا" السياسية، وفي الانتخابات العامة في مارس 1994، فاز بأغلبية الأصوات ليصبح رئيس الوزراء.

تم التعبير عن مخاوف في إيطاليا، وفي واقع الأمر، عبر الاتحاد الأوروبي، مفادها أن نجاح برلسكوني جاء بقدر كبير نتيجة للدعم الممنوح له من قبل منافذه الإعلامية والافتقار إلى مجال نقاش مهم، ناهيك عن المعارضة، عبر وسائل الإعلام الإيطالية المتبقية. وامتدت هذه المخاوف لتشمل التساؤلات حول كيف ستتم محاسبة برلسكوني خلال فترة توليه منصبه كرئيس للوزراء وكيف سيمارس سلطته. على نحو مثير للانتباه، خلال هذه الفترة، كان رئيسًا لشركة تسمى "فينينفست"، التي كان منافسها الرئيسي – جهة البث الحكومة الوطنية "آر إيه آي" – قد تم تخفيف حدة القيود التنظيمية المفروضة عليه وتفكيكه من قبل حكومته الائتلافية.

وفيما تعد أصوله الإعلامية عاملاً مرئيًا في ممارسته سلطته وإدارته إياها، فإن حالة برلسكوني تمثل أوجه غموض نظرًا للصورة التي نفكر من خلالها في سلطة الإعلام. وفي الفترة التي سبقت انتخاباته الأولية، أطلق برلكسوني حملة دعاية ضخمة لحزبه عبر الشبكات التلفزيونية الثلاث التي امتلكها. من ثم، بوضوح، جعلته ملكيته الإعلامية صاحب سلطة. وعلى الرغم من ذلك، فإن سلطته ووضعه قد قويت ثم ضعفت – أطاح به رومانو برودي في عام 1996، على سبيل المثال، ولكنه سرعان ما عاد للسلطة مرة أخرى.

وخلال الانتخابات الأوروبية لعام 2004، فإن العديد من مستخدمي الهاتف المحمول الإيطاليين تلقوا رسائل نصية موقع عليها من قبل برلسكوني تحثهم على التصويت. ومع ذلك، فبالرغم من الجدل والمخاوف من أن الرسائل كانت، بشكل ضمني، إعلانًا له ولحزبه، فإن برلسكوني لم يبلي بلاءًا حسنًا مثلما كان متوقعًا في الانتخابات.

المصدر: Corbis

سيلفيو برلسكوني – إمبراطور الإعلام، رئيس حركة "فورزا إيطاليا" ورئيس الوزراء الإيطالي. يثير كل من أدوار برلسكوني ومنصبه تساؤلات مثيرة حول الكيفية التي تجعل بها وسائل الإعلام الأفراد أصحاب سلطة وطبيعة تلك السلطة.

ومع ذلك، استمرت المخاوف إزاء وضع السياسات في إيطاليا، من حيث الصورة التي تقيد فيها سلطة برلسكوني مجال النقاش، حتى وإن لم يبدو الحال أن هذا المالك الإعلامي يصل إلى غايته طوال الوقت. يعد النقد الإعلامي لبرلسكوني في أكثر صوره صخبًا من خارج إيطاليا (على وجه الخصوص في "ذي إكونوميست" التي وصفته بالرجل الذي خدع دولة بأكملها)، وإلى الحد الذي أدى لأن تشير مؤسسة "مراسلين بلا حدود" إلى أن الرئيس "على شفا أن تتم إضافته إلى قائمة مستغلي حرية الصحافة خاصتنا، الأمر الذي يعد سابقة بالنسبة لزعيم أوروبي (http://en.rsf.org/).

لحقيقة العالم. جميعنا يستخدم مصطلح "الفطرة السليمة" لوصف ما نسلم به جدلاً. إذا فكرنا في المعنى الحرفي للتعبير، يمكننا أن نتبين أنه يرتبط بجوانب فهمنا المشترك أو العام. لكن ماذا لو عكست الآراء المشتركة ظاهريًا بشكل فعلي اهتمامات قطاع مميز من المجتمع، إلى حد أنها بررت سلطة من يتولون مقاليد السلطة، على سبيل المثال – وليس فقط الجماعات السياسية في الحكومة، وإنما هؤلاء الذين يتحكمون في الاقتصاد، أو من يوجهون النظام

القانوني؟ في غالبية المجتمعات، يبدو أن هناك قبولاً واسعًا لفكرة أن بعض الناس لهم حق التمتع بقدر من الثروة أو السلطة يفوق الآخرين، حتى مع وجود كثيرين ممن لا يتمتعون بأية سلطة ويملكون ثروة محدودة بل ويعانون بدرجة أكبر جراء هذا. ويعد قبول هذا الوضع بوصفه طبيعيًا أو حتميًا بصورة ما بمثابة غطس أسفل ثقل الأيديولوجية.

قد يتجلى مثال هنا على كيفية عمل الأيديولوجية في الأوروبيين المنتمين للمذهب الكاثوليكي، الذين اعتقدوا من قبل أن الشمس تدور حول الأرض وأن عالمنا هو مركز الكون. كان لدى الجميع الاعتقاد نفسه. ونظرًا لأنهم كانوا صغارًا، فقد سلموا بهذا الاعتقاد جدلاً؛ وكان أي شخص يلمح بخلاف هذا يعامل على أنه مجنون أو مهرطق، بل وربما تتم معاقبته لانتهاكه القانون من خلال تفكيره بصورة مغايرة. على نحو وظيفي، كان الاعتقاد جزءًا من صرح أكد على السلطة الممنوحة من الرب التي يتمتع بها رئيس الكنيسة – البابا – بالإضافة إلى الحق المقدس الذي يتمتع به الملوك.

وربما لم تكن تلك الموضوعات المتعلقة بعلم الكون من أنواع الأشياء العالقة بأذهان الناس العاديين كل يوم، لكن من المهم إدراك كيف تتأثر الحياة اليومية بالأيديولوجية، من حيث الطريقة التي نتصرف من خلالها، وهؤلاء الذين نؤيد سلطتهم والأفكار التي نحيا بها. يقدم مثال مؤجز من عالم التلفزيون استبصارًا في دور الإعلام هنا في العالم المعاصر. وتشير الأيديولوجية إلى أن أفكار، ومن ثم اهتمامات، القليلين من أصحاب السلطة تهيمن على أفكار واهتمامات الكثيرين، وبهذه الصورة، يمكننا أن نرى كيف يعمل التلفزيون كأداة ممثلة لهذه الفكرة، بإبرازها في نصوصه وممارساته. على سبيل المثال، يعبر نمو برامج تلفزيون الواقع الخاصة باكتشاف المواهب (مثل "إكس فاكتور" و"أميريكان أيدول" و"ميكينج ذي باند" وغيرها) عن قيمة وأهمية الفرد عن الكثيرين. وتستند تلك البرامج إلى ارتفاع شأن قلة عن العدد الكبير، الذي تحدده سمات تفوق الوصف – حدد "إكس فاكتور" أفكار الموهبة والصفات الشخصية ("الجاذبية الجنسية"، وصوت "بوب"). في نهاية عملية الاختيار، تكمن الثروة والشهرة، الترقي الدائم للفرد من بين الكثيرين. ويتأكد هذا التصديق كل عام بواسطة الآلاف الذين يسجلون أسماءهم لأجل المراحل

التنافسية من تلك البرامج وهؤلاء منا ممن يستمعون للبرامج. بالتأكيد، سيقول كثيرون إن هذا مجرد ترفيه، قليل من المتعة، وأين الضرر في هذا؟ بالمثل، ليست تلك البرامج استثنائية – فقد كان التلفزيون بتسلسله الهرمي من النجوم (الفنانين والمقدمين والمراسلين وغيرهم) على هذا النحو لفترة طويلة. المهم هنا هو أن تلك الحالة طبيعية؛ إنه فقط "النحو الذي تسير عليه الأمور". بمجرد أن نبدأ في دراسة تلك الأمور بهذا الأسلوب، فإننا ندخل مجددًا في عالم عمل الأيديولوجية.

سننتقل إلى دراسة أمثلة إعلامية بمزيد من التفصيل، غير أن العديد من الأمثلة للمعاني والسمات النصية التي قد تمت بالفعل مناقشتها عبر مواضع هذا الكتاب ترتكز على مفاهيم الأيديولوجية. إن التمثيلات النمطية أو المبسطة جدًا ، ومفهوم رولان بارت لـ "الأسطورة" ، فضلاً عن الطرق التي تقدم من خلالها الأنواع الفنية وأشكال السرد "إغلاقًا" لتصويرات في العالم بصور واقعية وخيالية، جديرة بالمراجعة على نحو يرتبط بهذه المناقشة. ومع ذلك، فلكي نتعمق إلى جذور دراسة الأيديولوجية – حبال الأفكار الرئيسية – فضلاً عن التعامل مع عملها في ما يتعلق بالمجموعات المسيطرة والتابعة في المجتمع، يتعين علينا الآن التحول لاستكشاف تأثير الفكر الماركسي.

تفسير معنى الأيديولوجية: مساهمة الماركسية

الأيديولوجية حرفيًا هي "دراسة الأفكار"، بمعنى كيف بدأت كموضوع فلسفي عبر أنحاء أوروبا في وقت الثورة الفرنسية. وجاء تطورها إلى تسمية لطريقة تفكير معينة، ومؤخرًا، إلى مصطلح ازدرائي يشير إلى فكر سياسي ضيق الأفق، عن طريق مفكرين في العلم السياسي وعلم الاجتماع، وعلى وجه التحديد كارل ماركس.

تكمن نقطة بدايتنا في فهم أهمية ماركس في نقده لـ "علماء الاقتصاد السياسي" من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، الذين كانوا يحاولون فهم ظهور التصنيع وتطور الاقتصادات الحديثة والرأسمالية.

طرح كتّاب أمثال آدم سميث في "ثروة الأمم" (سميث، 1776/1977) وديفيد ريكاردو في "مبادئ الاقتصاد السياسي والضرائب" (ريكاردو، 1817/2006) مجموعة من

النظريات التي تشرح النظام الاقتصادي الناشئ الممثل في استغلال الموارد (البشرية والمادية) وتعظيم الربح. وأشاروا إلى أنه، لكي يعمل هذا النظام على نحو ملائم ويحقق إمكاناته، ينبغي أن يكون هناك تحرير عام لأنواع القيود التي ميزت المجتمع المعاصر، التي كانت غير ديمقراطية بشكل كبير وتمحورت حول هيمنة نخبة استبدادية لأجل تحقيق امتيازاتها. وأشار هؤلاء المفكرون إلى أن تحرير المجالات الاقتصادية والقانونية والسياسية – بمنح حرية غير مقيدة لعمل السوق- من شأنه أن يؤدي بكل فرد إلى السعي لتحقيق مصالحه الخاصة، محققًا قيمة (أو رأس مال – ثروة) وهو ما سيعود بدوره بالنفع على الجميع.

طور ماركس نقدًا لهذه الأفكار استنادًا للدليل التجريبي المحيط به، مثل زيادة الأحياء الفقيرة وساعات العمل الطويلة والأجور المتدنية للغالبية وعمالة الأطفال والنهب الاستعماري الذي استعبد فعليًا قارات بأكملها لمصلحة دول صناعية والثروة الهائلة لأقلية. وأشار إلى أنه، بدلاً من تحرير الجميع نحو حقبة جديدة من الثروة والعدالة والحرية المتزايدة، منحت الرأسمالية السلطة والثروة لنخبة جديدة مارست سلطتها الخاصة في قمع هؤلاء المطلوبين للاحتفاظ بمكانتها. وجمعت مجموعة النخبة هذه، التي أسماها الطبقة البرجوازية، أصحاب المصانع والمستثمرين ممن كانوا يناضلون ويستفيدون من التصنيع على حسب النخب القديم من ملاك الأراضي – الطبقة الأرستوقراطية.

ولو كان هذا هو كل ما قد قدمه ماركس، لما أثبت كونه على درجة عالية من التأثير. كان ما جعل كتابته غاية في الأهمية هو ارتباط هذه الحجج بالتفكير بشأن الأفكار وقيمتها في علاقات السلطة، في محاولة لفهم التغيرات السياسية والاجتماعية العميقة في أوروبا في ذلك الوقت. وقد درس في الأصل مع الفيلسوف الألماني جي دبليو إف هيجل (1770-1831)، الذي قد رأى أن الأفكار المسيطرة بدرجة كبيرة في أية حقبة هي التي تحدد الطبيعة "المادية" للمجتمع – تنظيمه المادي والتجريبي والحفاظ عليه. كان أساس نظرية هيجل هو أن الأفكار لها وجود خاص بها جميعها. واقترح أن مجموعة واحدة من الأفكار تكون سائدة في المجتمع في أية فترة؛ وأشار إلى هذه الأفكار بمصطلح "الفرضية". وبينما

تعد تلك المجموعة من الأفكار مهيمنة وسائدة، فإن معارضي هذه الطريقة في التفكير يشكلون بدائل تلتحم لتشكل ما يطلق عليه "الطباق" (antithesis). في وقت ما، قد تتشابك الفكرتان وتندمجان لتشكلا مجموعة جديدة من الأفكار المتفق عليها، "التركيب"(synthesis). وبدوره، قد يشكل هذا التركيب طريقة التفكير المهيمنة الجديدة، مواصلاً العملية المثالية أو ما أطلق عليه مسمى "الجدلية" (dialectic).

وأضاف هيجل أن كل دائرة أفكار (أو روح العصر – بمعنى "روح العصر" السائدة) غيرت طريقة تفكير الناس ومن ثم أدت بهم إلى إحداث تغيير بارز في تنظيم المجتمع. خلال فترة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كان هذا من شأنه أن يعبر عن التحول في أوروبا، من نظام إقطاعي تقليدي (يحكمه ملوك وأرستوقراطيون يعتقد أنه تم تعيينهم من قبل الرب ويتم دعمهم من جانب كتابات وتعاليم دينية) إلى نظام رأسمالي حديث (يسيطر عليه طبقة برجوازية عصامية وتدعمه أفكار المنطق وعصر التنوير والديمقراطية الدستورية).

مفكر رئيسي

كارل ماركس (1818-1883)

ولد ماركس في تراير بألمانيا، ودرس في جامعتي بون وبرلين في وقت لم تكن فيه الديمقراطية تنشأ سوى بين الدول الأوروبية، برغم المعارضة الشرسة من جانب حكامها. تطورت أفكاره وفلسفته المتطرفة مبكرًا، فيما يبدو متعارضًا مع خلفية الطبقة المتوسطة خاصته، وأمضى معظم فترات حياته في المنفى السياسي نتيجة لأهدافه وممارساته الثورية المعلنة. وفي عام 1844، التقى فردريك إنجلز، الذي أصبح معاونه السياسي، وألفا معًا "بيان الحزب الشيوعي" (ماركس وإنجلز، 1848/ 1969). وقد أمضى سنواته اللاحقة في إنجلترا في البحث عن أروع مؤلفاته، "رأس المال" (ماركس، 1967/1867)، وفي تنظيم اتحاد العمال الدولي. وأثرت أفكاره، للخير والشر، على أجيال من المتطرفين والنشطاء السياسيين والمقاتلين من أجل الحرية والطغاة.

قياس القاعدة والبنية الفوقية لماركس – تنبع أفكارنا الاجتماعية من المادة أو القاعدة الاقتصادية والممثلة في حقبتنا في الرأسمالية.

كان ابتكار ماركس ممثلاً في عكس مثالية هيجل للتدليل على أن الطريقة التي نظم بها مجتمع ما – قاعدته المادية – ربما تكون قد حددت أفكار الناس وطريقة تفكيرهم بشأن العالم. وأشار إلى أن تنظيم المجتمع هو الذي تغير أولاً وأن أية وسيلة لإدارة الأشياء من شأنها أن تقود إلى مجموعة جديدة من الأفكار التي فسرت الأشياء. وجاءت هذه الأفكار من هؤلاء الذين هم في مواضع تكفل لهم الاستفادة من النظام الاجتماعي الجديد، نظرًا لأن تلك الأفكار بررت ميزتهم. وظف ماركس قياس المبنى لشرح كيف عملت نظرياته. فقد نظر إلى النظام الاقتصادي لمجتمع بوصفه مناظرًا لأسس مبنى وإلى الأفكار والمؤسسات الأخرى في مجتمع بوصفه أشبه بالمبنى الظاهر. قد تجد هذا مشارًا إليه باسم قياس "القاعدة والبنية الفوقية" في كتب أخرى.

من ثم، أشار ماركس إلى أن الأفكار عملت على تبرير نظام معين لمجتمع، وبدلاً من أن يتم الإعلان عنها بشكل صريح بوصفها على تلك الصورة، وطرحها للفحص والتقييم، كانت محجوبة. لم يتم عرضها كطريقة تفكير واحدة ممكنة وقائمة على نحو تاريخي، وإنما كحقائق بديهية. اكتسبت أفكار ونظرة وممارسات وفلسفة الطبقة البرجوازية، التي نشأت وبررت مكانتها ووضعها، "صفة الحقيقة" أو "الفطرة السليمة"، ومن ثم، ساهمت في استمرار سلطتها ومكانتها المتنامية بوصفها "طبيعية" و"واضحة" نوعًا ما. يعطي هذا الاقتباس من "بيان الحزب الشيوعي"، الموجه مباشرة إلى المجموعة السائدة، مفهومًا لهذا التحليل:

"لكن لا تجادل معنا مدة طويلة بينما تطبق، على إلغائنا المتعمد للعقار البرجوازي، معيار أفكارنا البرجوازية للحرية والثقافة والقانون، الخ. فأفكارك الخاصة ليست سوى نمو لظروف إنتاج طبقتك البرجوازية وملكيتك البرجوازية، تمامًا مثلما ليس اجتهادك القضائي سوى إرادة طبقتك متخذة صورة قانون للجميع، إرادة يتحدد كل من سمتها واتجاهها الأساسيان بواسطة الظروف الاقتصادية لوجود طبقتك.
الاعتقاد الخاطئ الأناني الذي يحثك على التحول إلى قوانين الطبيعة الداخلية والمنطق، الأشكال الاجتماعية المصطفة من وضع إنتاجك الحالي ونوع عقارك – علاقات تاريخية تظهر وتختفي في تقدم الإنتاج – هذا الوهم الذي تتشاركه مع كل طبقة حاكمة تقدمت عليك.

المصدر: الأعمال المختارة لماركس وإنجلز، المجلد الأول، الصفحات 98-137 الناشر: "بروجرس بابيلشرز، موسكو، الاتحاد السوفييتي، 1969 ترجمة ساموبل مور بالتعاون مع فردريك إنجلز، 1888.
النسخ/ الترميز: دائرة الأبراج وبرايان باسجن طباعة لليسار: أرشيف الإنترنت لماركس/ إنجلز (Marxists.org) 1987، 2000. يمنح تصريح نسخ وتوزيع هذه الوثيقة أو أي منهما بموجب شروط رخصة جنو للوثائق الحرة.

ويرى ماركس أن أيديولوجية أصحاب السلطة سيتم قبولها بما لا يدع مجالاً للشك من قبل كل من أصحاب السلطة أنفسهم وهؤلاء الذين يخضعون لسلطتهم، نظرًا لأنها اكتسبت مكانة "الحقيقة". على سبيل المثال، يمكن تبرير العمل النابع من المصلحة الشخصية والتسامح فيه باعتباره مجرد "طبيعة بشرية" (توجد أمثلة عديدة للإيثار يمكن إيرادها بالمثل كدليل على طبائعنا للطعن في صحة هذه البديهية). إن فكرة القبول على درجة بالغة من الأهمية نظرًا لأنه، في أي مناقشات للعلاقة بين لغة الإعلام والسلطة، عادة ما يستدل الناس على أن ثمة نوعًا من التلاعب الواعي باللغة من قبل أصحاب السلطة، كما لو كانت الأيديولوجية مجرد نوع من الدعاية. بالطبع هناك أمثلة عديدة لهذا النوع من التلاعب المحسوب السارية، عبر الرقابة، وعبر تدخل أصحاب المؤسسات الإعلامية في منشورها وعبر سيطرة الدولة. وعلى الرغم من ذلك، فإن مفهوم الأيديولوجية يمدنا

بفكرة أكثر تعقيدًا: أن هناك آلية ديناميكية سارية في إطار هياكل السلطة، والتي بواسطتها تصبح مبررة لنفسها و"طبيعية" إلى درجة تصبح معها مؤكدة بلا أي مجال للشك.

من السهل أن نتبين سبب اقتناع أصحاب السلطة أنفسهم بالأفكار التي تبرر سلطتهم وثروتهم الأكبر. وهذا بالضبط ما حدث مع دعم الأفكار الليبرالية/ الرأسمالية الجديدة بين المشاهدين الجدد والنخبة من ملاك المصانع في الفترة من منتصف القرن التاسع عشر إلى نهايته. ومع ذلك، فمن الأصعب إدراك كيف أن الأفراد الذين يفشلون في الحصول على مكسب متوقع في مجتمع ذي تسلسل هرمي قد يدعمون تلك الأفكار ويؤمنون بها. يرى ماركس أن الأغلبية في المجتمع – هؤلاء الذين يعملون نظير أجر (ممن يتم توظيفهم من قبل هؤلاء الذين يملكون رأس المال، والذين يجمعون المزيد من رأس المال عبر عمل الآخرين) – لديهم مصلحة جمعية موضوعية معاكسة لمصلحة الأقلية. وهذا هو الموضع الذي تأتي منه مفاهيم الجماعية السياسية والاقتصادية والمثالية – الاشتراكية والشيوعية. بالنسبة إلى ماركس، كان الصراع السياسي الجاري متعلقًا بتشجيع الوعي الجمعي للأغلبية (العمال، الطبقة العاملة أو البروليتاريا – هؤلاء الذين لا يملكون سوى سلطة العمل خاصتهم)، إلى حد أنهم قد يدركون ظلم ولاعقلانية موقفهم (وبالتبعية كشف الأيدلوجية على النحو الذي كانت عليه) والقيام بعمل ما حيالها. سواء أكانت الثورة الاجتماعية حتمية نتيجة لذلك الإدراك أم لا، على حد القول الشهير لماركس، فإن النقطة ليست مجرد وصف العالم وإنما تغييره!

وعلى الرغم من أنه كان صحفيًا نشطًا ومحررًا لصحف راديكالية، فقد توفي ماركس نفسه قبل ظهور صور وسائل الإعلام ومؤسساتها مثلما نفهمها اليوم. فضلاً عن ذلك، فقد ألف القليل عن الثقافة وعلاقتها بالأيديولوجية، غير أن هذا المجال هو واحد ثبت كونه ذا أهمية محورية للعديد من واضعي النظريات، الذين قد تبنوا أسلوبه في التحليل وأنتجوا كمًا ضخمًا من العمل المرتبط بالدور الأيديولوجي للإعلام كأدوات للسلطة. وفي مواضع أخرى، نناقش مساهمة فكرة الأسطورة لرولان بارت ومفكري مدرسة فرانكفورت. هنا، نستكشف أفكار المفكرين اللذين قد أثرا على التفكير في الدراسات

الإعلامية حول عمليات الأيديولوجية. في القسم التالي، سنتناول مساهمة المفكر البنيوي لوي ألتوسير، ونظرية الهيمنة لأنطونيو غرامشي. توفر هذه العمليات تقييمت مختلفة لقوة الأيديولوجية ودورها وكيف يمكن أن تدعم تفكيرنا بشأن الدور الاجتماعي للإعلام والخضوع واحتمالات السلطة المقاومة.

أنطونيو غرامشي والهيمنة

طور الإيطالي أنطونيو غرامشي أسلوبه في دراسة الأيديولوجية في ثلاثينات القرن العشرين. اندهش غرامشي من قوة الرأسمالية في مواجهة مساوئها الواضحة. كان الجانب ذو الأهمية الخاصة هو مدى عجز أنواع ثورة العمال واسعة النطاق المتوقعة بشكل واضح في تحليلات ماركس للاقتصاد عن التحقق بشكل مادي ملموس. في ذلك الوقت، كانت روسيا – وهي دولة قد مرت بثورة في عام 1917 باسم الماركسية – قد أضحت تحت سيطرة ديكتاتورية ستالين، الذي صرح بالقمع المادي والثقافي لشعبه، وهو شعب يفترض أن أفراده هم المنتفعون من الحرية من الرأسمالية. بالنسبة لمفكرين راديكاليين أمثال غرامشي، لم يكن مثل ذلك البديل للرأسمالية على الصورة المفترض أن يكون عليها، فشكل من القمع يخضع للآخر. كانت الحقبة التي يعمل فيها أيضًا حقبة ظهور الأنظمة القمعية لفاشستيي موسوليني في إيطاليا وحزب هتلر النازي في ألمانيا.

وتمثلت مساهمة غرامشي في دراسة تعقيدات الأيديولوجية كما طورها ماركس وكيف عملت من أجل الاحتفاظ فعليًا بقبول حكم أصحاب السلطة في تلك السياقات، في وقت عانت فيه جموع الشعب بشكل غير متناسب.

تركز مفهوم الهيمنة في جوهر فكر غرامشي. وكلمة hegemony (أو الهيمنة) كلمة يونانية تعني القيادة. يشير استخدام غرامشي إلى الصورة التي تظهر من خلالها "القيادة" الاقتصادية والثقافية بواسطة مجموعة مهيمنة، وكيفية السعي لأجل نيل موافقة عليها والفوز بها، والموضع الذي يحدث فيه ذلك في المجتمع. ميز غرامشي بين آليات المجتمع السياسي والمدني. يمكن النظر إلى المجتمع السياسي بوصفه مجال الدولة وأجهزتها التي تبقي على سلطة النخبة بالإكراه – ممارسة السلطة عبر التحكم المادي من قبل الجيش

والشرطة والقانون، الخ. ويعد المجال المدني مجالاً أكثر تشعبًا، يضم الدين والتعليم والإعلام والثقافة الشعبية بشكل منظم، فضلاً عن المجالات الخاصة للأسرة والمنزل. وفي المجال المدني، يتم فرض تعقيد الحياة الاجتماعية وإعادة إنتاجه مجددًا ويتم تداول الأفكار الاجتماعية.

التفكير بصوت مرتفع

هل ماركس على حق؟

على الرغم من صور نبذ الأفكار الماركسية بوصفها قد اندثرت مع سقوط الاتحاد السوفييتي وأنها مرتبطة على نحو يتعذر استرجاعه بالقمع الاستبدادي، فإن الصحفي الفرنسي فرانسيس وين، في سيرته الذاتية للفيلسوف العظيم، يقدم حججًا تؤيد الاهتمام المستمر بعمل ماركس. وفي مواجهة احتمال الكتابة عن "شخصية موصومة عتيقة غير مناسبة"، يكشف عن أن:

> "كلما درست ماركس أكثر، بدا لي أكثر ارتباطًا بالأحداث بشكل مذهل. إن مثقفي وساسة اليوم الذين يتفاخرون بأنفسهم بوصفهم مفكرين معاصرين يروق لهم الإشارة إلى كلمة "العولمة" في كل مناسبة – من دون إدراك أن ماركس كان يقوم بما هو مطلوب في هذا الشأن في عام 1848. إن هيمنة علامتي "ماكدونالدز" و"إم تي في" العالميتين لم يكن ليمثل مفاجأة بالنسبة له مطلقًا. لقد تنبأ ماركس بالتحول في السلطة المالية من المحيط الأطلنطي إلى المحيط الهادئ – بفضل اقتصادات النمور الآسيوية ومدن طفرة السليكون بالساحل الغربي لأمريكا – منذ أكثر من قرن قبل أن يولد بيل جيتس. (وين، 1999: 2-5)

يعطي هذا الاقتباس من "بيان الحزب الشيوعي" لمحة عن التنبؤ الذي يكتب عنه وين:

> "لقد أسست الصناعة الحديثة السوق العالمية، التي مهد لها اكتشاف أمريكا الطريق. وقد قدمت هذه السوق تطورًا هائلاً للتجارة والملاحة والاتصال برًا وبحرًا وجوًا. وبدوره، استجاب هذا التطور لتوسع الصناعة؛ وبشكل متناسب، حيث توسعت مجالات الصناعة والتجارة والملاحة والسكك الحديدية، بالقدر نفسه الذي تطورت به البرجوازية....من ثم، نرى كيف أن البرجوازية الحديثة هي في حد ذاتها نتاج طريق طويل من التطور لسلسلة من الثورات في أنماط الإنتاج والتبادل.
>
> [....]

لا يمكن أن توجد البرجوازية دون إحداث ثورة في أدوات الإنتاج، ومن ثم علاقات الإنتاج، ومعها علاقات المجتمع بأكملها... يتم محو كل العلاقات الثابتة السريعة المتجمدة، بتدرجها من الأحكام المسبقة والآراء القديمة والعظيمة، وتصبح كل العلاقات المشكلة حديثًا عتيقة قبل أن تتوطد. ويتبدد كل ما هو ثابت وراسخ، ويدنَس كل ما هو مقدس ... وتطارد حاجة سوق متوسعة بشكل دائم لمنتجاتها الطبقة البرجوازية عبر سطح الكرة الأرضية بأكملها. ينبغي أن تعشش في كل مكان وتستقر في كل مكان وتقيم علاقات في كل مكان.

لقد منحت الطبقة البرجوازية، عبر استغلالها للسوق العالمية، سمة عالمية للإنتاج والاستهلاك في كل دولة. وعلى نحو يصيب الرجعيين بخيبة أمل هائلة، فقد سحبت من تحت قدم الصناعة الأرضية الوطنية التي كانت ترتكز عليها. لقد انهارت كل الصناعات الوطنية المنشأة منذ القدم أو تنهار يوميًا. فهي تزاح من قبل صناعات جديدة، يصبح تقديمها مسألة حياة وموت لجميع الدول المتقدمة، ومن جانب صناعات لم تعد تنتج مواد خام أصلية وإنما مواد خام مستمدة من أبعد المناطق؛ صناعات يتم استهلاك منتجاتها، ليس فقط في أرض الوطن، بل في كل بقعة من بقاع الكرة الأرضية. بدلاً من الاحتياجات القديمة، التي يلبيها إنتاج الدولة، نجد احتياجات جديدة، تتطلب تلبيتها منتجات أراض ومناخات بعيدة.

المصدر: الأعمال المختارة لماركس/إنجلز، المجلد الأول، ص 98-137. الناشر: بروجرس بابليشر، موسكو، الاتحاد السوفييتي، 1969. ترجمة: ساموبل مور بالتعاون مع فردريك إنجلز، 1888.

النسخ/ الترميز: دائرة الأبراج وبرايان باسجن طباعة لليسار: أرشيف الإنترنت لماركس/ إنجلز (Marxists.org) 1987، 2000. يمنح تصريح نسخ وتوزيع هذه الوثيقة أو أي منهما بموجب شروط رخصة جنو للوثائق الحرة.

لقد تعززت الصلة المستمرة لأفكار ماركس بفعل عالم الجغرافيا ديفيد هارفي في مجموعة من المؤلفات. وهذه بدورها تأتي من حياة من التفاعل مع تحفة ماركس الأدبية "رأس المال". وفي "رفيق لرأس مال ماركس" (2010)، يشير هارفي إلى أنه تتمثل مهمة محورية في تقييم عمل ماركس في "فتح مساحة للحوار والمناقشة بصورة تهدف إلى جلب الرؤية الماركسية للعالم مجددًا لمرحلة محورية، على المستويين الثقافي والسياسي. إن أعمال ماركس لديها الكثير لتخبرنا به بشأن مخاطر زمننا لتلقي بها في مزبلة التاريخ". (هارفي، 2010: 242).

(يمكن سماع محاضرات هارفي من الرابط: http://davidharvey.org/)

إجراء دراسات إعلامية

استكشاف الأيديولوجيات عبر "عمرها الافتراضي"

لقد أثيرت اعتراضات عديدة ضد مفهوم الأيديولجية وعمل ماركس: على سبيل المثال، كيف "اكتشف" الأيديولوجية إذا كنا جميعًا خاضعين لها. وفي حالة كونها فعالة و"مؤقلمة" للغاية، فكيف يمكننا أن نكون واعين بعملياتها؟ لماذا يتمتع "واضعو النظريات" بامتيازات ضخمة؟ على الجانب الآخر، كان لدى ماركس توقعاته الخاصة لهذه العملية الممثلة في أن الفحص النظامي لمزاعم أي مجتمع عن نفسه وقيمه – التي هي عمل المفكر – تم قياسه في مقابل طبيعة ممارسات ذلك المجتمع وكشف عن أوجه تناقضه ومن ثم أيديولوجيته المسيطرة. من ناحية إضافية، اتسمت الفترة التي كتب فيها بتغيير هائل وصراع على الأفكار والسياسات – من الظاهر أن ما بدا في السابق آمنًا وراسخًا غير قابل للتبديل قد تم استبعاده. ولتكرار الاقتباس المذكور آنفًا، "كل ما هو راسخ وثابت يتبدد". من ثم، فإن الأيديولوجية ليست "ثابتة" وتخضع للتغيير – تختلف الكيفية التي نحيا بها وما نؤمن به عن مجتمع عصر ماركس. على الجانب الآخر، ثمة جوانب كثيرة نتشاركها – على وجه التحديد التقييم الجوهري للعمل الجاد وتوليد الثروة والفردية وما إلى ذلك.

وتتمثل وسيلة مفيدة لفهم ديناميكية الأيديولوجية و"العمر الافتراضي" لبعض الأفكار المقدمة في فحص المنتجات الإعلامية القديمة للوقوف على ما تكشفه بشأن العالم والقيم الاجتماعية التي تمثلها. لأجل هذا النشاط، ابحث عن أي فيلم أو برنامج تلفزيوني أو تسجيل موسيقى أو مجلة أو إعلان أقدم من عمرك. افحص النص خاصتك للوقوف على ما يكشفه عن العالم: ما الافتراضات التي يقدمها (عن الرجال والنساء والأسرة والمجتمع والعلاقات، الخ)؟ هل تبدو هذه الافتراضات والقيم مختلفة بأية صورة عن افتراضات المجتمع المعاصر وقيمه؟ ما الاستمراريات التي كشف النقاب عنها؟ ما أوجه الاختلاف؟ ما الاستنتاجات التي يمكنك أن تستقيها من ملاحظاتك؟

المجتمع المدني هو الموقع الذي تنشأ فيه القيادة الفكرية والأخلاقية والثقافية. يتم ترويج النظرة العالمية للطبقة الحاكمة من مفكريها (في النظريات والفلسفات والأعمال الفنية) وصولاً إلى مستوى الثقافة الشعبية للمجتمع الأوسع نطاقًا و"الإدراك العام" اليومي بشأن أسلوب العالم.

بهذه الصورة، لا تكون القيادة موقعًا تم الاستحواذ عليه ماديًا أو حتى بشكل ملحوظ بالنيابة عن قطاع متميز من المجتمع ولكنها تبدو شيئًا واضحًا بل ومتفقًا عليه بشكل تلقائي. في ظل هيمنة أصحاب السلطة، يقبل المضطهدون أو المستضعفون اضطهادهم بل ويوافقون عليه فعليًا نظرًا لأنهم يؤمنون بأنه أمر طبيعي. إن الأشياء التي يتعلمها الناس في المدرسة وقيم المنزل والافتراضات الكامنة وراء تقديم الأخبار أو في أشكال سرد الدراما التلفزيونية جميعها تروج الرؤية العالمية لأصحاب السلطة، بصورة مؤكدة لا تدع مجالاً للشك. وعلى الرغم من ذلك، فإنه حسبما رأى غرامشي، قد يعارض المضطهدون السلطة التي تمارسها النخبة. إن أصحاب السلطة لن يحملون أبدًا سلطة مطلقة. أينما كانت هناك سلطة تتم ممارستها، نجد أيضًا مقاومة لتلك السلطة ومفاوضات بشأن حدود

مفكر رئيسي

أنطونيو غرامشي (1881-1937)

كان غرامشي صحفيًا وناشطًا سياسيًا راديكاليًا، تم اعتقاله في ظل النظام الفاشستي لموسوليني في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين. وعكف خلال الفترة التي قضاها في المعتقل على تطوير نظرياته السياسية بشكل سري، بالرغم من أنه قد وافته المنية قبل أن تتم إعادة إيطاليا إلى الديمقراطية مع نهاية الحرب. وتمثلت أهم إسهاماته في تطوير الفكرة الماركسية للأيديولوجية عبر مفهومه للهيمنة، بهدف شرح كيف عززت الأيديولوجيات المسيطرة الوضع الراهن، وكيف يمكن مقاومتها وتقويضها. لم تصبح كتاباته ذائعة الصيت على نطاق واسع في العالم المتحدث بالإنجليزية حتى السبعينات من القرن العشرين، حينما أثبتت كونها مؤثرة في مجال الدراسات الثقافية في غطائها البريطاني، لاسيما فيما يتعلق بمفاهيم "مقاومة" السلطة من قبل المضطهدين والمحرومين.

الهيمنة ومعاملاتها. يتضح مفهوم غرامشي للقيادة جزئيًا في الطريقة التي ينخرط من خلالها هؤلاء المتمتعون بالسلطة في بعض الصراعات من أجل السلطة، مستبعدين بعض الأمور – دعم الرفاهية أو زيادة الأجور، على سبيل المثال – مع الإبقاء في نهاية المطاف على السلطة ووضع عدم المساواة العام. حينئذ، يمكن أن نشير إلى هذا باسم "حرب الموقع"، والتي يتم فيها كسب أرضية والتخلي عن أخرى بالتبعية. ومن ثم، فإن أي دارس للسلطة بحاجة إلى فحص الصراع الدائر بشأنها: ليس فقط محاولات ممارستها من قبل أصحاب السلطة، وإنما الوسيلة التي يتم بواسطتها إدراكها ومقاومتها، وأين تتم مقاومتها وكيف تتم مقاومتها.

باتت فكرة مقاومة السلطة شائعة من خلال أكاديميين معنيين بالعملية الأيديولوجية للإعلام – جزء حيوي على نحو متزايد من المجتمع المدني في الجزء الأخير من القرن العشرين. لقد وجهت أفكار غرامشي الانتباه إلى الصورة التي تعمل بها الهيمنة في ممارسات الإعلام والتمثيلات النصية، وأيضًا إلى النحو الذي ظهرت من خلاله "المقاومة". بهذه الصورة، يمكن النظر إلى النصوص الإعلامية، على سبيل المثال، بوصفها أكثر من مجرد أوعية للأفكار، لتصبح مواقع للنزاع بشأن المعنى، بحيث لم يكن لدى المنتجين والمستهلكين فقط أدوار ليلعبوها فيها، وإنما أيضًا الأكاديميين. وعلى هذا النحو، يقدم عمل غرامشي معنى لدور البشر كعناصر فاعلة في مصيرهم. ويأتي هذا على النقيض من حبل أفكار آخر بات مؤثرًا في الوقت الذي كان يتم فيه نشر أفكاره ومناقشتها على نطاق واسع – البنيوية.

لويس ألتوسير والبنيوية

أصبحت مجموعة من الأعمال النظرية التي تحمل مسمى "البنيوية" ذات أهمية ومحل اهتمام في أوروبا في الستينات والسبعينات من القرن العشرين، لتؤثر على الفكر عبر أنحاء العالم في مجموعة من فروع المعرفة الأكاديمية ولتولد بعض الجدل بشأن أفكارها واستنتاجاتها الجوهرية. وعادة ما يرتبط المجال بأفكار المفكرين الفرنسيين الراديكاليين. ويضم هؤلاء عالم الأنثروبولوجيا كلود ليفي شتراوس، وعالم الرموز رولان بارت ،

ومحللي السرد وعالم النفس جاك لاكان والفيلسوف الماركسي لوي ألتوسير.

ومثلما يشير الاسم، تعنى البنيوية بالبنيات وتأتي طريقتها من تحليل أنظمة الرموز التي تشير إليها لغويات فرديناند دو سوسور. وهي تبحث في البنية المدعمة في اللغة – أساس إدراك المعنى في علم الرموز – وتربطها بعمليات فحص البنيات المدعمة في المجتمع – مثلما فعل ماركس – وبشكل موسع، ببنيات الإعلام والصور الثقافية والممارسات.

على غرار عمل غرامشي، يعد عمل ألتوسير مفيدًا في التفكير بشأن النحو الذي تعمل به الأيديولوجية، لاسيما حينما يتم توسيع نطاقها لتشمل آليات الإعلام. وفي إطار فكره، على غرار ماركس، تعد القاعدة الاقتصادية في المجتمع ذات أهمية محورية ومحددة في نهاية المطاف للنحو الذي تسير عليه الأمور، لكنه تخيل دورًا أكثر مرونة وأحيانًا مستقلاً للأفكار والنحو الذي استمرت به في بناء أشكال من عدم المساواة في السلطة والثروة والفرص. على الجانب الآخر، أشار إلى الصور الواضحة والمادية للتحكم الاجتماعي والهيئات الاجتماعية التي حافظت عليها – الجيش والشرطة والمحاكم والنظام الجنائي. من خلال تسمية أجهزة الدولة القمعية هذه، أشار إلى أنها وحدها لم تكن كافية للحفاظ على العلاقات الاجتماعية لنظام إنتاج جائر. يتحقق قبول الغالبية لموقفهم من خلال وسيلة أقل وضوحًا – من خلال حمل رسائل أيديولجية عبر التعليم والدين المنظم، داخل الأسرة وبنياتها المغذية، وبالطبع، عبر الإعلام. وأشار إلى هذه الجوانب بمسمى أجهزة الدولة الأيديولوجية (ISAs). ويعد مفهوم جهاز الدولة الأيديولوجي مفيدًا، نظرًا لأنه يركز الانتباه على الدولة ودورها في تحمل المسؤولية عن سلطة أصحاب السلطة. وفي المجتمعات الديمقراطية، تعد الحكومات متقلبة ومتغيرة، وتميزها سياساتها عن المجموعات الأخرى التي تسعى للسلطة عبر الانتخابات. عادةً ما تكون حكومة إحدى الدول مسؤولة عن مؤسسات الدولة، التي عادة ما تكون ثابتة غير متغيرة، مع أن السياسة السياسية تحدد تمويل وتطبيق طاقات كل منها (مصادر أكثر أو أقل للتعليم والنقل، الخ.) في غالبية الدولة، تخضع الشرطة والجيش والنظام الجنائي والخدمة المدنية والتعليم وبعض جوانب الإعلام لدرجة من التحكم من قبل الحكومة.

يشير مفهوم جهاز الدولة الأيديولوجي إلى أن أجهزة الدولة تؤثر بصورة أيديولوجية. يوضح النظام القانوني نوع السلوك المقبول والدرجة التي يتم من خلالها، أو لا يتم، تقييم السلع أو الحيوانات. على سبيل المثال، في الولايات المتحدة، إذا اتصلت بضابط شرطة نظرًا لأن منزلك يتم السطو عليه، فسيتم تأمين عقارك واتخاذ إجراء قانوني ضد المتعدي (في حقيقة الأمر، ربما يكون من حقك إطلاق النار على أي متعدٍ – بحيث تصيبه أو ترديه قتيلاً؛ إذا كنت تعاني من مرض حاد أو ربما لا تحصل على الغذاء الكافي ولا تملك وظيفة أو تأمين صحي، فليس ثمة من يمكنك الاتصال به لطلب المساعدة أو إلقاء اللوم. يتم تأمين وحماية العقارات، بينما لا يتم صون الحياة البشرية والكرامة.

يضم مفهوم جهاز الدولة الأيديولوجي مدارس وكليات وجامعات، التي تؤسس جميعها قيم المنافسة والفردية، استنادًا إلى مؤهلات توفر الأساس لكسب الثروة والسلطة وثيقتي الصلة. ينظر إلى وسائل الإعلام بوصفها تقدم رؤى للعالم تعكس مزايا هؤلاء المتمتعين بالسلطة بالأساس، سواء في صورة برامج ألعاب تشجع الاستحواذ الفردي على الثروة أو أفلام تدعم قيمة البطولة والشهرة الفردية، وتظهر في الصحف أو برامج أسلوب الحياة وما إلى ذلك.

إذًا، تعد هذه رؤية للإعلام كأدوات للسلطة، وتبدو مشابهة جدًا لرؤية غرامشي في تمييزها بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي. وعلى الرغم من ذلك، فإنه أينما ينغمس ألتوسير في رؤية للأيدولوجية أكثر ميكانيكية وتحديدًا للأيديولوجية. من ثم، يمكن النظر إلى مفهوم ألتوسير بوصفه واحدًا يكشف كيف تعمل صور الإعلام كصور ذات سلطة في مفهومه وثيق الصلة للاستجواب (Interpellation). يأتي المصطلح من الكلمة الفرنسية التي تعني الاستجواب أو التقصي (إما من قبل الشرطة أو داخل البرلمان بين الساسة) أو "التحية"، الصورة التي قد يناديك بك شخص ما في الشارع: "أهلاً"، الخ. ما يهم هو الصورة التي نرد بها على من يخاطبنا.

إجراء دراسات إعلامية

السلطة والمقاومة

عند النظر إلى سلطة الإعلام، ينبغي ألا نتجاهل جانبًا آخر للسلطة، ألا وهو مقاومتها. حتى أن ممارسة السلطة الأيديولوجية تقابل بالمقاومة. ليس من المحتمل أن يقوم أفراد مجموعة تابعة عن قصد بفعل ما ينزع السلطة منهم أو يضرهم. من ثم، فإننا ربما "ننخدع" باستهلاك نصوص محملة أيديولوجيًا، أو ربما بعضنا أو كلنا يستهلك نصوصًا يسمح لنا بالتهرب من أو مقاومة التحكم في أفكارنا.

هل كل صور الإعلام، بالأساس، تروج الأفكار نفسها حول العالم؟ هل ثمة أي دليل من استهلاكك الإعلامي للنصوص والممارسات حيث يتم الاعتراض على أفكار عن العالم أو، في الحقيقة، النحو الذي يقدم به الإعلام العالم لنا؟ إذا لم يكن استهلاكك يشير إلى تلك المادة، فهل أنت قادر على العثور على أي دليل لشبكات "بديلة" للإنتاج والتوزيع الإعلامي حيث يتم تداول الأفكار المعارضة؟ (للمؤشرات، انظر الفصلين الثالث والسابع.)

المصدر:
Alamy Images
أنطونيو غرامشي

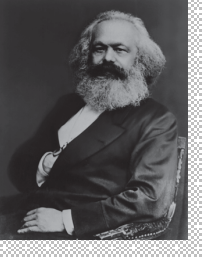

المصدر:
Corbis
كارل ماركس

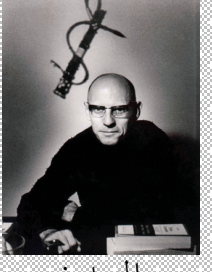

المصدر:
Rex Features
ميشيل فوكو

المصدر:
Corbis
لوي ألتوسير

لقد تأثرت أساليب البحث في السلطة في الدراسات الإعلامية، كما في فروع المعرفة مثل علم الاجتماع والتاريخ والدراسات الأدبية والسياسات وغير ذلك، بمفكرين أوروبيين معنيين بالدور الاجتماعي للأيديولوجية.

مفكر رئيسي

لوي ألتوسير (1918-1990)

حاول ألتوسير التوسع بشكل أكبر في دراسة فلسفة الأيديولوجية لماركس، بحيث يعيد تقييم المسالك الأصلية عند "ماركس" (ألتوسير، 2005/1965) وقراءة "رأس المال" (ألتوسير وباليبار، 1997/1965). بالرغم من عمل غرامشي، الذي لم يكن يحظى بشهرة كبيرة، في الوقت الذي أنتج فيه ألتوسير عملاً عن ماركس، فقد قلص الاتحاد السوفييتي والأحزاب الشيوعية الأوروبية الماركسية بحيث تصبح عقيدة سياسية قاطعة أكثر من كونها أساسًا لتحقيق فلسفي. وأثمرت هذه الدوغماتية عن صيغة "حتمية" للأيديولوجية، مما يعني أن كل الأفكار الاجتماعية داخل المجتمعات الرأسمالية كانت تنتقد بقسوة بوصفها قد تم إفسادها بواسطة مصالح الطبقة المسيطرة. وهذا الأسلوب البحثي غير المعقد لم يفعل الكثير من أجل توضيح حقيقة أن المجتمع يتغير والصورة التي قد تطورت بها الرأسمالية بدلاً من إثارة حالة من السخط بين من يتعرضون للاستغلال. لقد ولدت الطفرة الاقتصادية ما بعد الحرب في البلدان الأوروبية مثل فرنسا حالة من الرضا الواضح بين الأفراد من الطبقة العاملة، بدلاً من السخط والوعي بوضعهم غير المتكافئ لدى مقارنته بالطبقات المتوسطة. من ثم، كان هدف مساهمة ألتوسير هو توضيح الصورة التي عملت من خلالها الأيديولوجية على الإبقاء على النظام وكيف نجحت في ذلك، أحيانًا على نحو مستقل عن الظروف المادية للمجتمع. ونظرًا لأن عمله قد شمل بشكل ضمني الإعلام والثقافة، فقد أثر على المناقشات في الدراسات الإعلامية في سبعينات القرن العشرين، وبينما قد خبا تأثيره بشكل ملحوظ، فإن آثار أفكاره قائمة. وهي تكمن خلف مجموعة كاملة من النظريات والتحليلات الإعلامية المؤثرة التي لا تزال جديرة بالتفاعل معها. وهي بحاجة لفهمها من أجل إدراك بعض المزاعم حول السلطة التي قد وجهت مجالنا والوسائل التي قد تشكلت بها المناقشات الجدلية حول الدور الاجتماعي للإعلام.

تخيل أنك الشخص الخاضع للاستجواب أو الترحيب – أنت "في موقع" يجعلك تدرك أنه يتم التحدث إليك وأن ثمة رد فعل معين مطلوب. لقد شاهدنا هذا عمليًا على

مدار تحليلاتنا للنصوص الإعلامية في هذا الكتاب، بالصورة التي تتم بها مخاطبتنا بشكل مباشر أو ضمني في هوياتنا المتعددة من قبل الخطاب الإعلامي – في المجلات على سبيل المثال (مثل She وYou وMen Only وTrout Angler). في إطار هذا الفكر، تعمل أجهزة الدولة الأيديولوجية بأسلوب يضعنا في إطار نظام من القيم والأفكار، ندرك داخله مكاننا وكيف ينبغي أن نستجيب ونتصرف في العالم. توضح حقيقة أن هذا لا يحدث بشكل واعٍ – أننا لسنا مشاركين في سلسلة لا نهاية لها من الأسئلة والإجابات، نحن فقط نفعل – الصورة التي تعمل من خلالها الأيديولوجية من أجل إنتاج ذاتيتنا وإدراكنا لأنفسنا. وهذه فكرة مقلقة بشكل كبير بالطبع، نظرًا لأنها تشير إلى أن وعينا وإدراكنا لفرديتنا وحقنا في تقرير المصير ربما يكون في حد ذاته أيديولوجيًا في طبيعته. ونحن أنفسنا، بقدر ما نحن واعون، نعد نواتج السلطة؛ في الحقيقة، يعد وعينا "أيديولوجيًا".

تعد هذه الأفكار مجردة بدرجة كبيرة، بل مزعجة نظرًا لأنها تتغير وتناقض مفهوم الأيديولوجية الذي قدمه كل من ماركس وغرامشي، وموقفنا تجاهها، بشكل جذري. تعمل الأيديولوجية في هذا النموذج بما يخدم مصالح مجموعة أقلية، بحيث تجعل "حقيقتها" مقبولة وخاضعة للتحقيق أو الاستجواب بحيث يمكننا اكتشاف حقيقة الأشياء الفعلية. تعمل الأيديولوجية بأسلوب نفسي على نحو عميق. ويبدو أن هذا يستبعد أية احتمالية لوساطة بشرية سعيًا للتحرر من القمع والاستغلال. في الحقيقة، لا يمكن لأحد أن يتخيل أي مكان من دون أيديولوجية للتبصر بطبيعة المجتمع وأشكال عدم توازن السلطة. يوضع الفرد في موضع ما بواسطة الأيديولوجية وفي إطارها، ونولد وننحصر داخل كهف حديدي حتمي لا مفر منه! وتلعب صور الإعلام دورا مهمًا في بنية السلطة. ومع ذلك، يبدو أن هذه النظرة الآلية للأشياء حدسية مضادة لتفسير كيفية وسبب معارضة الأشياء، وفي واقع الأمر، تغيرت بسبب أفعال الأفراد والمجموعات.

في كل حالة فحصناها حتى الآن، مع هذا، تم التحكم في الأفكار والنظريات الموجهة لأغراض سياسية أوسع نطاقًا لخدمة التحليل الإعلامي. يبرز هذا رؤية واحدة لمجالنا بوصفها مطروحة لتساؤلات جادة بشأن الدور الاجتماعي للإعلام، حتى عندما قد يبدو موضوع جهدنا تافهًا بشكل سطحي؟ هل ميكي ماوس مهم في اللعبة الاجتماعية

للسلطة والأيديولوجية على سبيل المثال؟ مثلما قد ناقشنا في مواضع أخرى، بالطبع هو كذلك قد تعد الإشارة إلى خلاف ذلك في واقع الأمر أيديولوجية. ليس ثمة شيء أكثر إلهاءً في بحثنا عن السلطة من الإصرار على أن السلطة توجد فقط في أماكن معينة. إن انتباهنا مركز على وسائل الإعلام كمواقع للسلطة والأيديولوجية، وليس للنظر إلى السلطة باعتبارها شيئًا كائنًا في البرلمانات ويحدده وضع الممثلين السياسيين، أو يحمله هؤلاء الذين يتحكمون في الشركات الإعلامية، على سبيل المثال. تتضح فكرة انتشار السلطة بصورة أكبر في مفهوم الخطاب وأفكار واضع نظريات فرنسي آخر، هو ميشيل فوكو.

إعلام جديد ودراسات إعلامية جديدة

سلطة ومقاومة جديدة؟

شهد ما يعرف باسم "الربيع العربي" عام 2010 انتفاضات شعبية في مصر وتونس وسوريا وليبيا وبلدان أخرى بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا. ويعطي هذا التعليق من جانب مطلع على الأسرار الداخلية ممثلاً في المدونة المصرية والباحثة في مجال الإعلام، نهى عاطف، فكرة عن الكيفية التي استخدمت بها الأدوات الإعلامية الجديدة كأداة لمعارضة سلطة الديكتاتوريات:

"في الشهر نفسه، خرج شعبان من الشرق الأوسط إلى الشوارع، في محاولة للإطاحة بديكتاتورين كانا يحكمانهما لأكثر من 25 عامًا. يتشارك كل من القاهرة وتونس المشكلات نفسها الممثلة في الفقر والبطالة وارتفاعات الأسعار المستمرة. وتم اعتبار كل منهما من بين أسوأ عشر دول يمكن العمل بها كمدون، كما أدرجتا بوصفهما عدوتين للإنترنت.

في الشرق الأوسط، لا يسمح لعامة الشعب بالتواصل بحرية، نظرًا للقمع السياسي أو التحفظ الاجتماعي أو كليهما. والآن، أتاح لهم نوع جديد من الإعلام التعبير عن آرائهم مع توفر خيار البقاء مجهولي الهوية، مما يتيح لهم أن تسمع أصواتهم.

بدأت القصة مع صحافة المواطنة التي تغطي الاحتجاجات البسيطة التي اندلعت في البداية وتطورت مع شبكات التواصل الاجتماعي المدعمة الأنشطة خارج الإنترنت في الشوارع.

وكانت أول موجة تظاهرات شعبية في العالم العربي في القاهرة نهاية عام 2004، إذ احتشد بعض المفكرين وبدءوا في ترديد "كفاية"! مطالبين الرئيس حسني مبارك بالتنحي.

وكانت هذه هي المرة الأولى التي يسمع فيها هتاف موجه ضد الرئيس؛ كان الناس ينشرون القصة شفهيًا. وفي عام 2005، تكرر المشهد، وفي هذه المرة، تمكن البعض من التقاط صور، بينما دون آخرون الهتافات، متشاركين إياها مع الأصدقاء. وشجع هذا المزيد من الناس على المشاركة، وبدأت تتضخم الاحتجاجات سواء على الإنترنت أو في الشارع. زاد عدد المصريين عن 58 مليون وبلغت نسبة اختراق الإنترنت 21.2 مع توفر أجهزة وإمكانية وصول رخيصة نسبيًا (20 سنت/ساعة).

كان استخدام مواقع التواصل الاجتماعي والتظاهر مدفوعًا بالشباب والطبقة المتوسطة والمثقفين الذين ينتجون محتوى مواقع التواصل الاجتماعي، أما بقية القطاعات فكانت تكتفي بالاستهلاك، إلى أن شقت الهواتف المحمولة من الجيل الثالث طريقها إلى داخل البلاد وعززت مشاركة ديمقراطية أوسع نطاقًا. وفي مصر، نادرًا ما تقابل شخصًا لا يملك هاتفًا محمولاً، برغم الفقر (55٪)، وكثير من المصريين لديهم أكثر من هاتف واحد، وعادةً ما يفضلون الهواتف المزودة بكاميرا مضمنة. ومع ذلك الاختراق، لدينا أداة في يد الجميع تسمح بتوثيق الحياة المصرية، من تزوير الانتخابات إلى الرقص الشرقي! وساعد هذا النشاط على الإنترنت والاستعداد الاجتماعي في إثارة مناقشة القضايا الحساسة مثل التعذيب.

انظر كيف تقوم الهواتف المحمولة بالتسجيل.

جاءت نقطة تحول في التطورات الأخيرة يوم 6 أبريل 2008. ويجسد هذا التاريخ أول إضراب عام في تاريخ مصر، وهو حدث بدأ بطلب مجموعة على "الفيس بوك" من الناس البقاء في المنزل. وعلى الرغم من أن نجاحها لا يزال مثيرًا للجدل، كان مزعجًا بالدرجة الكافية بالنسبة للنظام ليصبح أكثر وحشية مع المواطنين، من خلال اعتقال مديري مجموعة "الفيس بوك" وتعذيب أحدهما. ومع ذلك، لم يتم حجب موقع الفيس بوك، فمصر هي نوع الدول المعادية للإنترنت التي لا تتجه لحجب موقع إنترنت، بل إلى حجب محرريه؛ بمعنى اعتقالهم بشكل غير قانوني!

ومع ذلك، فإنك تجد بشكل واضح استخدامًا ذكيًا لشبكات التواصل الاجتماعي خلال التظاهرات المستمـــــرة، لنأخذ "تويتر" كمثال؛ الذي بات هاشتاج #25 يناير به يحظى

بشهرة على مستوى العالم، حيث يرسل المتظاهرون تحديثات فورية، يغرد النشطاء بأعداد التظاهرات والإصابات والمحامين الذين تطوعوا لتقديم دعم قانوني، ولديهم قوائمهم الخاصة التي تربطهم عبر أنحاء الدولة.

على مدار أيام التظاهر، استخدم حسني مبارك سياسة قطع الاتصالات عبر الإنترنت والهواتف المحمولة من أجل معاقبة المتظاهرين ووقف انتشار الكلمة، وفي الفترة ما بين 28 يناير إلى 2 فبراير، تم حظر خدمات الإنترنت والهاتف الجوال، على الرغم من أن عددًا هائلاً من المناقشات عن مصر قد ظهر في شبكات التواصل الاجتماعي، على "تويتر"، فإن التغريدات التي تتناول المتظاهرين كانت وفيرة بالقدر الكافي لترويج اسم الدولة عبر أنحاء العالم، باللغات الإنجليزية والفرنسية والأسبانية والإيطالية! وبعد أن توجه كل رؤساء وسائل الإعلام السائدة إلى التظاهرات الضخمة، تم توظيف مواقع التواصل الاجتماعي من جانب المواطنين بمختلف أنحاء العالم لإظهار التضامن مع المصريين، وفي كل ليلة، كان يتم تحميل تغريدات ورسائل مدونات وسجلات فيديو ومقاطع فيديو مركبة جديدة لإظهار الدعم للثورة المصرية.

الآن، بصفتي دارسة للإعلام الاجتماعي، فإن السؤال الذي أرغب في الوصول لإجابة عنه هو كيف كان المتظاهرون في ميدان التحرير في القاهرة يتواصلون على مدار فترة ثورتهم؛ كيف كان مئات الآلاف (2 مليون بحسب تقدير قناة "الجزيرة" الإنجليزية) يتخذون قراراتهم وينشرونها فيما بينهم من دون الحاجة إلى خدمة الهاتف المحمول أو الاتصال بالإنترنت؟ أعتقد أنهم كانوا يستخدمون أنواعًا من وسائل الإعلام الاجتماعية غير الرقمية، شيء سوف أستوضحه من أصدقائي الذين يشاركون في التظاهرة الآن، غير أن أعمال العنف وحوادث القتل التي ترتكب من قِبَل أفراد يرتدون زيًا مدنيًا لا تمنحهم أية فرصة لأن يرووا تجربتهم الإعلامية في الثورة.

يمكنك قراءة المزيد عن نهى عاطف من الرابط:

http://advocacy.globalvoiceonline.org/author/noha-atef/ and at www.tortureinegypt.net/

الخطاب والسلطة والإعلام

باتت أفكار غرامشي عن الهيمنة والصراع من أجل الموقع واحتمالات تحدي السيطرة والقمع مؤثرة في سبعينات القرن العشرين، حيث بدأت دراسات السلطة في المجتمع تضع في الاعتبار أوجه التفاوت بين المجموعات على نحو يتجاوز كل الفئات واسعة النطاق للطبقة الاجتماعية. من ثم، فإن ملامح وعمليات النوع الاجتماعي العرق والتوجه الجنسي أضحت موضوعًا للفحص لدورها في إطار علاقات السلطة. ونظرًا لأنهم عادة ما يشاركون في الصراعات السياسية التي درسونها، فإن واضعي النظريات ركزوا انتباههم بشكل متزايد على مجال الثقافة، والتمثيلات واللغة التي كانت مستخدمة في إعادة إنتاج السلطة وفي الصراع بشأنها. في المجتمع المعاصر، تعد صور الإعلام وعملياته لذلك السبب ذات أهمية حيوية لتلك الشؤون. على سبيل المثال، ومثلما قد شاهدنا في مناقشات موضوع التمثيل، تتمثل إحدى الأفكار في أن التمثيلات المتكررة والمحدودة لبعض المجموعات الاجتماعية (النساء والمهاجرين والشواذ) – في التلفزيون، على سبيل المثال، وعبر الصحافة – لها علاقة بمكانتها الاجتماعية وسلطتها. منذ ستينات القرن العشرين، كان هناك قدر كبير من النجاح نتيجة لذلك الاهتمام في مواجهة اللغة والممارسات الثقافية لعدم المساواة و"الكراهية"، الممثلة في التفرقة بين الجنسين والتمييز العنصري وغيرها من أشكال اللغة والمنظورات المتحيزة. وهذا الاهتمام الموجه لعمل اللغة والممارسة الاجتماعية قد أثمر عن ظهور فكرة وطريقة أضحت بارزة على نحو متزايد في عمل الباحثين في مجال السلطة: الخطاب.

ميشيل فوكو والخطاب

الخطاب

يتمثل تعريف ميشيل فوكو للخطاب في "الممارسات التي تشكل نظاميًا الموضوعات التي تتناولها. (فوكو شريدان: 1972: 49).

يبرز هذا القسم المفاهيم الأساسية للخطاب. بدءًا بتعريف الخطاب، ثم نشرح سبب وجود ذلك التنوع في استخدام الفكرة. في البداية، يمكننا أن نشير إلى أن الخطابات هي أنواع اللغات التي نوظفها في الحديث عن شيء ما، والافتراضات التي تكمن وراء ما نعتقد ونقول ونفعل. ويضع

هذا التعريف التركيز على استخدام اللغة وعلى الأفكار التي نوظفها حينما نتحدث أو نقوم بفعل. وقد تمثل أكثر واضعي النظريات المؤثرين في هذا المجال في ميشيل فوكو.

عنى فوكو بتعريفه أن الخطابات عبارة عن أفكار مضمنة في ما نفعله ونقوله ونفكر فيه وأن هذه الأفكار تنتج المصطلحات التي نعرف على أساسها العالم. بالطبع يبدو هذا أشبه على نحو قليل بأيديولوجية. ربما كان الأمر أبسط بكثير لو كان قد استخدم مصطلح "أيديولوجية" الذي استخدمه جميع الآخرين، غير أنه رغب في تحويل التركيز في التفكير

مفكر رئيسي

ميشيل فوكو (1926-1984)

كان فوكو باحثًا فرنسيًا، تدرب في البداية على يد ألتوسير، والذي أنتج القدر الأكبر من عمله في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، في خضم صعود البنيوية. كانت له خلفية أكاديمية متشعبة في مجالات الفلسفة والتاريخ وعلم النفس. عزل فوكو نفسه بصورة متزايدة عن تركيز أقرانه على إعادة تفسير الماركسية، وحدود التحليل البنيوي (كما أثبتها ألتوسير)، بتقديم تحليلات مفصلة للأفكار والممارسات التي تجري على مر التاريخ، مقدمًا تفسيرات بدت مناقضة للتقليد. للوهلة الأولى، تبدو دراساته للجنون والعدالة الجنائية الجنسانية متشعبة بشكل راديكالي. ومع ذلك، فقد تمثل اهتمامه الأساسي في الصورة التي تتغير بها الأفكار على مر الزمن، وكيف دخلت اللغة والسلطة في هذه التغييرات وفي إنتاج طرق لمعرفة العالم أو ما أسماه "أنظمة الحقيقة". لقد كان فوكو مرتبطًا بمجموعة من الأفكار التي عادة ما يشار إليها باسم "بعد بنيوية" (بعد البنيوية). يتوسع المتخصصون في ما بعد البنيوية ويتناولون بعضًا من الحدود المدركة للفكر البنيوي ونظريته. وتتمثل الوسيلة الرئيسية التي يقومون من خلالها بهذا العمل في عدم التركيز على البنيات والهياكل، وإنما على الممارسات. ليس كيف يبنى مجتمعنا، بل ماذا نفعل داخله. ليس كيف تبنى لغتنا، بل كيف نستخدمها. ليس كيف يبنى عقلنا الباطن، بل كيف نوظف الأفكار.

النظري من اتجاهات وأساليب البحث مثل البنيات الحاسمة بشكل مطلق لألتوسير، إلى أفكار عملية – الأفعال اليومية والعالم المادي الذي نصنعه ونعيش فيه، فضلاً عن ما نقوله – كقاعدة للمعنى، والصراع كقاعدة للسلطة.

لذلك، من المهم فهم كيف يعد الخطاب مفهومًا مختلفًا عن الأيديولوجية، وأنه في ذلك الاختلاف، يكمن جانب من الجدل الذي قد أحاط بالمفهوم وبعمل فوكو. الأمر الأول هو محاولة فوكو الهروب من نموذج السلطة المشتق من أفكار التسلسلات الهرمية – مع صاحب السيادة (أي الملك أو الملكة) أو المجموعة المسيطرة أعلى التسلسل. وسعى للتعمق في ما وراء فكرة أن السلطة يتمتع بها أي شخص أو مجموعة بشكل مطلق، ثم تتم ممارستها على الآخرين. فقد رأى أن السلطة أكثر انتشارًا في نطاقها وعملياتها. ليست السلطة بالضرورة متعلقة بحظر الممارسات ومنعها؛ بل إنها أيضًا تصرح بالممارسات والمعرفة وتنتجها.

إن الجدل يكمن في الطريقة التي يبتعد بها فوكو عن سلالة واضعي النظريات من ماركس فصاعدًا والطريقة التي قد أدركوا من خلالها الأيديولوجية. سعى النقد الماركسي للأيديولوجية إلى توضيح طبيعة العالم كما هو بحق، لكشف النحو الذي تم من خلاله تقديم "الأفكار" كحقائق، بحث تعمل على إخفاء الحقيقة كما كانت في الواقع بأسلوب مضاد لمصالح الأغلبية وإنتاج عالم أفضل أكثر مساواة. وعلى الرغم من ذلك، فبدلاً من الحديث عن الحقيقة أو السعي إلى إلقاء الضوء على حقيقة العالم، يتحدث فوكو عن "أنظمة الحقيقة" التي تنتجها الممارسات واللغات – الخطاب. في عمله، تتضح هذه الفكرة من خلال خطابات في مجالات الطب وعلم الجنس والعلوم وعلم النفس – وهي مجالات نعتقد أنها تعد، في حد ذاتها، بصورة ما "موضوعية" في بحثها عن المعرفة. ومع ذلك، يرى فوكو أن كلاً من هذه المجالات توجهه مجموعة من الممارسات والإجراءات والمفاهيم وجداول الأعمال الخاصة به، ولذلك، فإن أي استبصارات هي، بالتبعية، محكومة بالصور التي يتحدث بها المرء ويتصرف وفقًا للمعاملات الخطابية للطب والعلوم ما إلى ذلك. إن المصطلحات والمفاهيم المتاحة لنا لوصف مفهوم ما تحدد هذا المفهوم وكيف يكون معروفًا.

بالنسبة لفوكو، لا تتآمر الأفكار من أجل خداعنا عن طريق صقل الواقع أو تلميعه، لكنها العناصر الأساسية المشكلة للواقع و"الحقيقة" ذاتها! بهذه الصورة، تعمل "أنظمة" الحقيقة على نحو مقترن بالسلطة، بهدف التصديق على عملية البحث عن المعرفة، لأجل تحديد ما يمكن أن نفعله أو كيف نتصرف على نحو مقترن بالآخرين. على سبيل المثال،

ربما يتم تحديد كل من إيماننا وقدرتنا على الزج بالمجرمين في السجن، والإشارة إلى أفراد بوصفهم "مجانين" وإيداعهم مستشفيات الأمراض العقلية، أو ربما دعم إسقاط القذائف على القرى في الدول المتعاطفة مع "الإرهاب"، ومن ثم معادية للحرية "خاصتنا"، بوصفها نواتج لأنظمة الحقيقة التي تجعل تلك الأشياء ممكنة. ويكمن مزيد من التوضيح للطبيعة المتناقضة في ظاهرها لأفكاره في تحليله للموقف الفيكتوري نحو الجنس. تشير الأفكار التقليدية للناس في تلك الفترة إلى أنهم كانوا متحفظين بشكل مفرط بشأن الجنس والنشاط الجنسي، ويسعون لإخفاء مناقشة مثل تلك المسائل و"حجبها". على العكس، مثلما أشار فوكو، خلال العصر الفيكتوري، كان ثمة تحول هائل في طرق الحديث عن الجنس وتعريفه – في العلم والطب والقانون وعلم النفس وإحصائيات السكان وما إلى ذلك. وحدد النمو في طرق الحديث هذه بالتبعية وسائل لمعرفة الجنس والنشاط الجنسي وفهمهما – ما يعد طبيعيًا وما يعد شاذًا والفئات المختلفة للنشاط الجنسي والمحاذير القانونية وشبكات العقاب والعلاج (للمنحرفين)، وأيضًا الدعم والتعزيز للحالة الطبيعية – عبر ممارسات الزواج وما إلى ذلك (فوكو وهيرلي، 1990).

تمثل أحد الجوانب الأكثر تفاؤلاً التي تعين على فوكو قولها في أنه أينما توجد سلطة، دائمًا ما توجد "مقاومة". غير أن أفكاره تقودنا نحو موقف عرضة للانتقاد بدرجة بالغة سياسيًا وأخلاقيًا. في المقام الأول، إلى أي نقطة مرجعية مطلقة يمكننا الاحتكام إليها لأجل التوجيه والقبول أو حتى اتخاذ إجراء؟ ربما توجد فقط مستويات دقيقة للحقيقة والقبول يمكننا الوصول إليها واتخاذ إجراء بناءً عليها. سيتم تتبع نتائج هذه الأفكار بشكل أكبر في القسم الخاص بموضوع ما بعد الحداثة في الفصل الثاني عشر.

إذًا، ما الذي يتعين على هذه الأفكار أن تمنحه لدراستنا للإعلام؟ على الرغم من أنه

وجه اهتمامًا محدودًا جدًا للإعلام، فإن هذا الأسلوب قد تطور مؤخرًا على يد عدد من واضعي النظريات، مستندين إلى الطريقة التي قد أثرت من خلالها أفكار فوكو على دراسات الثقافة. لقد كان مفهوم "ممارسة" مفيدًا على وجه الخصوص لأجل التفكير بشأن كيف يعمل المهنيون في المؤسسات الإعلامية، على سبيل المثال (وول، 2006)، علاوة على معاملات نحكم بواسطتها على التمثيلات والتقنيات التمثيلية. مثلاً، قد تم استكشاف تطور التصوير الفوتوغرافي واستخدامه، كجزء من رغبة في "المعرفة" وتعريف العالم، في عمل جون تاج وآخرين (تاج، 1988؛ روز، 2006). على نحو أكثر انتظامًا، يركز الخطاب بالأساس على ما يقول الناس ويكتبونه، ومن ثم فقد كانت الصحافة على وجه الخصوص مجالاً خصبًا للدراسة، بتعريف مصطلحات النقاش التي على أساسها تعرَف "الأخبار" – التي تشكل أهمية – ويوثق بها ويتم فهمها (ريتشاردسون، 2006). لقد كان عالم اللغويات البريطاني نورمان فيركلوف صاحب تأثير كبيرة على وجه التحديد في هذا الموضع. ومن المهم تناول إحدى دراسات الحالة خاصته بهدف إبراز العناصر التي يشتقها من فوكو لأجل دراساته الإعلامية.

إذًا، كيف تجمع كل هذه الأفكار وأساليب البحث في السلطة؟ هل يمكننا استخدامها وهل يجب أن نستخدمها بالفعل؟ بالأساس، لاستكشاف فكرة أن أوجه عدم التوازن في السلطة موجودة في المجتمع، قد نشير، أو نفترض مسبقًا بصورة ما، أنه قد يكون ثمة شيء خاطئ في هذا الوضع، مما يجعل من المفروض علينا أن نقوم بعمل ما حيال هذا، مهما كان بسيطًا. على الجانب الآخر، قد نتحجج بأننا نعيش في مجتمع، مع كونه غير متكافئ، إلا أنه مستقر وفاعل نسبيًا: بمعنى أنه ليس في حاجة لتغيير. وفي هذه الرؤية، يكون دور الإعلام وظيفيًا ومقبولاً في إبقاء العالم كما هو.

بينما قد تقدمنا في شكل مرتب زمنيًا عبر سلسلة من الأفكار، فإنها جميعها تعرض طرق تفكير متنوعة حول وسائل الإعلام كأدوات للسلطة، على وجه التحديد. وفيما قد يقوض مفهوم فوكو للخطاب على ما يبدو المحاولات السابقة لتقديم تفسير نظري للسلطة في علاقتها بالأيديولوجية، لا تعد المفاهيم معاكسة بشكل كامل، كما أنها ليست تحريضًا من الخطاب، "عوالم الحقيقة"، وغيرها مما يتم قبوله بشكل غير نقدي من قبل واضعي

دراسة حالة

برنامج "راقب الجريمة" (Crimewatch)

يعد برنامج "راقب الجريمة" أحد برامج تلفزيون الواقع المستمرة منذ فترة طويلة، والذي يعرض تقارير وعمليات إعادة تمثيل لجريمة خطيرة، ومجرمين مطلوبين للعدالة وما إلى ذلك، بتوجيه التماسات مباشرة إلى جمهور المشاهدين طلبًا للمساعدة. يركز فيركلوف على الصورة التي يبني من خلالها برنامج Crimewatch وغيره من برامج "استنافات" الشرطة وبرامج "الواقع" المماثلة العلاقة بين العامة والشرطة، والأفكار حول الجريمة وملاحقتها.

من منظور فوكو، مع أن برنامج Crimewatch يقدم مجموعة واسعة النطاق من القضايا الجنائية، فإن جميع البنود "تتحدث" عن، ومن ثم "تشكل"، المجال العام للقانون والنظام، وهذه العلاقة، بوصفها "موضوعًا للمعرفة. يعد التحليل الذي يقدمه ممتعًا على وجه الخصوص في الصورة التي يبرز من خلالها كيف أن أساليب الحديث المختلفة – أصوات الشرطة وحديثها؛ والأصوات العادية للعامة (ضحايا الجريمة)؛ وأصوات فريق العمل التلفزيوني – تتكامل معًا لتشكيل صيغة معينة لعلاقة العامة بالشرطة. وتعمل هذه الأشكال من الخطاب على تطبيع وتشريع وسائل مشاهدة الجريمة والتعامل معها، ومن يمكنه اتخاذ إجراء، ومن يكون محل ثقة وما يمكن أن يتوقعه المرء من عمليات القانون والنظام.

يفحص فيرفلوف الطبيعة الصيغية لعناوين البرنامج واستخدام عمليات إعادة تشريع القوانين وغيرها من السمات الأخرى، ويشير إلى أن هناك "تلاعبًا" في الاختلاف بين الشرطة ومقدمي البرنامج (يقدم ضباط الشرطة البرنامج، بينما يضطلع مقدمو البرنامج بعمل الشرطة عن طريق الاستعانة بشهود). ويرى أن "المزيج المتناقض من إعادة التمثيل وإعادة تشريع القوانين، ومزج السرد المتخذ شكلاً دراميًا وجذب العامة وتغيير موقع عمل الشرطة في العالم المعتاد والعائلي للترفيه التلفزيوني .... الذي يروِض وبالتالي يشرع عمل الشرطة (فيركلوف، 1995: 168).

يعد السياق الذي قد حقق فيه البرنامج نجاحًا عاملاً محوريًا لفهم قيمة هذا البرنامج وبرامج أخرى على شاكلته. إنه واحد تجاوزت فيه مدارك العامة للجريمة كتهديد ومشكلة الحقيقة. في واقع الأمر، هو سياق فقد فيه إيمان العامة بالساسة والحكومات ومؤسسات الدولة (السلطة القضائية ونظام العقوبات، الخ) المصداقية والسلطة. ويشير فيركلوف بشكل استفزازي إلى أن البرنامج، لذلك، يمثل "تدخلاً من أجل دعم الشرعية العامة المتهاوية للدولة" (فيركلوف، 1995: 151).

النظريات. لا يمكن للمرء تجاهل حقيقة أنه، حتى في عالم ما يقال، فإن من يتحدث وما يهم، يشيران إلى أن التسلسلات الهرمية للخطاب، في علاقتها بمواقف أصحاب السلطة والخاضعين لهم في المجتمع، تشكل أهمية. وليس ثمة موضع يعد فيه التفكير بشأن هذه القضايا أكثر أهمية منه في مجموعة من وسائل الإعلام التي نقابلها ونستهلكها في حياتنا اليومية.

عبر أنحاء العالم، تثير الإذاعة والتلفزيون، لاسيما برامج الأخبار، حنق الجماعات السياسية نظرًا لكونها متحيزة للأفكار التي تختلف معها تلك الجماعات. وعادة ما تطرح الشكاوى في صورة مناظرات حول انتقاء الحقائق وتفسيرها وترجيح وجهة نظر معينة وما إذا كان العاملون في الإعلام ليبراليين نظريين أم رجعيين. على سبيل المثال، في المملكة المتحدة، لدى مواجهتهم مثل تلك المناظرات، غالبًا ما يتراجع العاملون في "بي بي سي" بأسلوب بليغ مقابل تبني موقف يشير إلى أن الإساءة إلى وجهات النظر المعارضة يعني بالمثل أن المؤسسة تتخذ الإجراء الصحيح. (ابحث على موقع "جوجل عن "بي بي سي والتحيز" أو "تحيز الإعلام الليبرالي"، على سبيل المثال، وستكتشف مرتعًا من الاتهامات والجدل حول هذا الموضوع.) وعلى الرغم من ذلك، فإن التفكير في وسائل الإعلام بوصفها أدوات للسلطة من شأنه أن يطرح تساؤلات حول الأسلوب الذي تم من خلاله "حصر" البرامج الإخبارية (والتحليل السياسي على وجه الخصوص) بعيدًا عن القضايا الاجتماعية الأوسع نطاقًا وطرق مشاهدة الأخبار، بدلاً من أن تكون متعلقة بوجهة النظر البسيطة لحزب سياسي. وقد يولي ذلك انتباهًا إلى الأسلوب الذي يتم من خلاله انتقاء جداول أعمال لعناصر الأخبار – ما يمكن اعتباره أخبارًا على سبيل المثال؟ بإمكاننا قبول أن التقلبات في أسواق الأوراق المالية وثروات الشركات وبنوك الاستثمار له تأثير علينا جميعًا، غير أن عددًا كبيرًا من برامج الأحداث الجارية يبدو معنيًا بصورة مفرطة بمستويات الربح للشركات والعائدات للمساهمين، بدلاً من نوعية حياة غالبية الناس ممن لا يحملون أسهمًا أو يملكون شققًا فوق أسطح مباني وما إلى ذلك. بالمثل، قد يركز هذا على الطريقة التي تجرى بها المناقشات حول القضايا في البرامج نفسها – ما شروط المناقشة المقبولة وكيف تجرى المناقشة، على سبيل المثال؟ كل هذا يعمل على تقديم مجموعة محددة من القيم التي تصف الطريقة "الملائمة" لاستكشاف العالم وتقديم تقارير عنه وكيفية مناقشة قضايا

بأسلوب "مهني" ربما يستبعد، في حقيقة الأمر، وجهات نظر وبرامج عمل أخرى ليست قابلة للاختزال في صورة السمات الحالية للأخبار. في الحقيقة، قد يشير مفهوم وسائل الإعلام كأدوات للسلطة إلى أن الموضوعية والتركيز "السياسي" لبرامج الأخبار والأحداث الجارية يعملان فقط من أجل ضمان أداء لعملية "الديمقراطية" الذي هو فعليًا ضرب من الوهم.

ملخص

البحث في سلطة الإعلام

في هذا الفصل، بحثنا في علاقة الإعلام والسلطة. عرَفنا السلطة، فضلاً عن التفكير في طبيعة الموضع الذي تكمن به السلطة في المجتمع، وفي هوية أصحاب السلطة، وبشكل موسع، في كينونة هؤلاء الذين يفتقرون للسلطة – الخاضعين والمضطهدين ومن على شاكلتهم. طورت مناقشتنا ثلاث طرق للتفكير بشأن الإعلام: أن صور الإعلام (التكنولوجيا والبلاغة) قوية وفعالة، وأن الإعلام يجعل الناس أصحاب سلطة وأن وسائل الإعلام عبارة عن أدوات سلطة.

وبهدف تشكيل مفهوم معقد على نحو متزايد للسلطة، درسنا أصل الأيديولوجية ومفهومها. واستكشفنا كيف أدرك ماركس عمل الأفكار في المجتمع وكيف تصبح أفكار المجموعات المسيطرة، أو الطبقة، "مقبولة" أو يسلم بها بوصفها الحقائق. وعلى هذا النحو، فإن الأفكار، التي لها أصول اجتماعية ومحملة بمنافع مكتسبة، تكون مطبعة، بحيث تبدو "إدراكًا عامًا". تطورت هذه الأفكار في نظريات أنطونيو غرامشي ولوي ألتوسير، الذي سعى بصورة أكبر لفهم موضع الأيديولوجية وكيفية عملها. وتشكل أفكار المفكرين أهمية في فهم العالم السياسي والاقتصادي الأوسع نطاقًا وسبب وكيفية إيرادها في الدراسات الإعلامية. إن المستويات المتباينة للتفاؤل أو التشاؤم بشأن الوساطة البشرية متاحة لنا لتقييمها ودراستها في علاقتها بعمليات الإعلام. وفي مواجهة التغير الاجتماعي والصورة التي قد تحدى من خلالها الأفراد التمثيلات ومسائل إمكانية الوصول وما إلى ذلك، قد نشير إلى أن ممارسة السلطة ليست حاسمة أو فعالة.

تناولنا في آخر قسم فكرة الخطاب، وعلى وجه التحديد عمل ميشيل فوكو. قد يبدو أسلوب فوكو، على غرار ألتوسير، تشاؤميًا، ولكنه أسلوب يوسع نطاق اهتمامنا ليشمل الممارسة والصورة التي تبنى من خلالها الحقائق، وفعليًا، كيف تحدد طبيعة اللغة المعاملات الخاصة بما نعرفه وكيفية معرفتنا به.

تبدو هذه مجموعة شديدة التعقيد من الأفكار، ويحتاج الباحثون إلى استكشافها بمزيد من التفصيل والاعتياد على استخدامها، إذ إنها تقدم لنا وسيلة مفيدة للبحث في الدور الاجتماعي للإعلام وفهمه. وتتمثل مهمتك في البناء على هذه الأسس والمضي بإدراك مفاده أن السلطة مفهوم حيوي في المصادر المهمة للباحث في مجال الإعلام.

عليك الآن أن تقيِم ما تعرفه وما يمكنك القيام به نتيجة لهذا الفصل. إذا كنت قد تابعت هذا الفصل وشاركت في الأنشطة وفكرت في القضايا التي تمت تغطيتها، ينبغي أن تكون قادرًا على القيام بالتالي:

- تعريف الأفكار المحورية والمصطلحات الرئيسية المحيطة بعلاقة السلطة والإعلام والتفاعل معها (فكر في النماذج المختلفة التي قد عرضناها والمواضع التي تواجه فيها مناظرات بشأن سلطة الإعلام.)
- تعريف مصادر السلطة في المجتمع المعاصر وتقييم دور الإعلام لكل منها. (نمِ فهمك في هذا الجانب من خلال البحث عن معلومات حول الموضع الذي تكمن فيه السلطة في المجتمع، بالإضافة إلى القضايا المرتبطة بملكية الإعلام وإمكانية الوصول وما إلى ذلك).
- البحث في جوانب سلطة الإعلام في المجتمع والوصول لاستنتاجات مرتبطة بالقضايا والمناقشات المحورية. (سيتيح لك إجراء النشاط القادم اختبار فهمك واستكشافك لهذه الأفكار.)

علاوة على ذلك، بالطبع، ينبغي أن تلاحظ أن هذا الفصل يقدم فقط ملخصًا موجزًا لبعض الأفكار المعقدة التي تحتاج بالفعل لمزيد من الاستكشاف من المصدر، وتوفر اقتراحات القراءة الإضافية والمواد المرجعية خاصتنا مؤشرات لهؤلاء الذين يرغبون في مواصلة هذا المجال من البحث.

إجراء دراسات إعلامية

إيجاد دليل على سلطة الإعلام

إذا كنت قد تابعت هذا الكتاب بشكل متسلسل، فينبغي أن تكون قد طورت الآن مجموعة من المصادر التحليلية وتفاعلت مع نظريات وأفكار متعددة حول الإعلام والمجتمع. ومن خلال القيام بالأنشطة في هذا الجزء، ستكون خطوة تقدمية أن تعتمد على ما قد قمت به حتى الآن من أجل تطوير أساليب أكثر تعقيدًا في بحثك وتفكيرك.

بدأنا هذا الفصل بعرض بعض عناوين الصحف الرئيسية التي توضح طرق التفكير بشأن سلطة الإعلام. كذلك، قدمنا شروحًا لكل من النماذج الثلاثة لسلطة الإعلام – صور الإعلام فعالة وذات سلطة، الإعلام يجعل الناس أصحاب سلطة، ووسائل الإعلام كأدوات سلطة. ينبغي عليك الآن أن تجد ثلاثة أمثلة خاصة بك. يمكنك أن تستقي هذه الأمثلة من أي مصادر – الإعلام أو الوسط الأكاديمي أو حتى من أي محادثات قد تسمعها عن نفسك كل يوم. لا تتجاهل مطلقًا أساليب "الإدراك العام" التي تشكل من خلالها الجماهير آراءها بشأن الإعلام. في كل مثال من أمثلتك، فكر في مدى ارتباط المصدر بنموذج السلطة – ما الدليل أو الافتراضات المتوفرة؟ هل تم تقديم مناظرة عن الإعلام؟ هل أنت مقتنع؟

أعد ملفًا عن سلطة الإعلام. لخص ماهية أنواع مواطن القلق (إن وجدت) التي قد تراودك أو تراود المجموعات الاجتماعية إزاء هذه السلطة. ما الذي بوسعنا أن نفعله حيال مواطن القلق هذه؟ في ضوء بعض الأدلة على كيفية استخدام الأفراد والحركات الاجتماعية وسائل الإعلام الجديدة، ما الحجج المتوفرة للتفكير بشأن الاحتمالات الديمقراطية وإمكانية مقاومة السلطة؟ هل ثمة دليل على استخدام "وسيلة إعلام جديدة" كأداة لأصحاب السلطة لأغراض قمعية؟

قراءات إضافيـة

Eagleton, T. (2007) *Ideology: An Introduction* , London and New York: Verso.
Eagleton is a literary theorist and his work is informed by Marxist approaches to analysis. This book explores some of the key thinkers and works on the subject of ideology and, despite claims that the concept has waned as an object of understanding in recent years, he brings this up to date. Eagleton is a witty and erudite writer who brings very complex ideas to life with ease, always aware of the historical and contemporary context, which is used to provide illumination.

Matheson, D. (2005) *Media Discourses: Analysing Media Texts* , Maidenhead: Open University Press.
This book offers a detailed insight into the use of discourse as concept and method in the analysis of a range of media texts, in order to explore who 'talks', what is represented and how power relations are challenged or reinforced. Matheson explores different media genres, such as news, advertising and weblogs.

Miller, D. and Philo, G. (eds) (2000) *Market Killing: What the Free Market Does and What Social Scientists Can Do About It* , Harlow: Longman.
The various authors in this book argue that the expansion of the free market in the last part of the twentieth century produced a rise in inequality and violence, and allowed a criminal economy and the degradation of social and cultural life. Its main objective is to question the position of academia on these developments, suggesting that many academics in the social sciences, media and cultural studies have avoided critical issues and instead become occupied in obscure theoretical debates. By default, they are complicit with the current order of things, rather than in pursuit of a critical stance. This book touches upon many of the themes raised in this chapter and is a useful, if controversial and challenging, place to consider how theorists relate to their power as well as their responsibilities.

Wayne, M. (2003) *Marxism and Media Studies: Key Concepts and Contemporary Trends* , London: Pluto Press.
This work takes a Marxist perspective on the study of the media, drawing upon Marx *et al* . in order to understand the economic, ideology and power relations of current practices and meanings in film, television, internet and print. Wayne's book is well illustrated with analyses of Disney, TV shows such as *Big Brother* and so on, which serve to underwrite an argument for this approach and its value.